مقالات وخاطرات

الجزء الثاني

د. يحيى مصري

blx
تصميم مطبوعات ورقية والكترونية

مقالات وخاطرات

الجزء الثاني

د. يحيى مصري

أشرف على نشره
د . حسين الحسن

حقق هوامشه
مصطفى الزّايد

جميع الحقوق محفوظة للناشر

اسم الكتاب: مقالات وخاطرات
الجزء الثاني
المؤلف: د. يحيى مصري
القطع: ١٧ × ٢٤
عدد الصفحات: ٢٠٨
السمة: نسخة إلكترونية
إصدار: المؤلف
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

مقالات وخاطرات
الجزء الثاني

د. يحيى مصري

الإهداء

إلى الدعاة إلى الله في كل مكان، عسى أن يكون مضمون الكتاب رافداً لهم في منهجهم ومسيرتهم، ونبراساً يبدد ظلمات التبس فيها الخطأ بالصواب، ومفتاحاً للأبواب قلوب أغلقها التشدد وصدها الغلو.

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لا شك في أنَّ من يكتب المقالة أو الخاطرة يستهدف من وراء ذلك أمراً، وينشد حاجة، ولا أجل وأسمى من أن ينشد التأثير في الآخرين والتغيير في الواقع إلى ما هو أفضل، ولا سيما إذا كان هذا التغيير يسعى إلى جلب منفعة دنيوية، تفضي إلى ثوابٍ في الآخرة بإذنه تعالى.

وهذا ما وجدته في مخطوط كتاب أستاذي الدكتور يحيى المصري في جزئه الثاني، وكنت قد ذكرت في مقدمة الجزء الأول أنَّ ثمَّة جزءاً ثانياً له، وقد أكرمني الله تعالى بأن أنهض بشرف إصداره أيضاً، كما أكرمني في إصدار الجزء الأول، وهو متمِّمٌ لفوائد سابقه، وبصدوره يمكن للمتصفح له أن

يجول في حديقة غنّاء مكونة من سلسلة موضوعات مفيدة ومتناسقة ويكمل بعضها بعضا، وقد صاغها مؤلفها بأسلوبه العربي الفصيح الرصين، وأضفى عليها من أسلوبه البلاغي الممتع.

كتبه الله في ميزان حسنات صاحبه، وجعلنا سبباً في نشره ونوال ثوابه، وكل من مدَّ لنا يد العون والمساعدة في ذلك، وأخصُّ الأخ والصديق الأستاذ مصطفى الزايد، الذي كان خير معين كما عهدته، والشكر وافره لأستاذنا الدكتور يحيى مصري الذي كان له فضل تعليمنا في البداية، وسبب أجرنا في النهاية.

وأترككم مع مواد الكتاب، وهي خيرُ مفصح عن نفسها، وأفضل متحدث عن مضامينها، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

د . حسين الحسن

الرياض – ٣٠ رمضان المبارك ١٤٤٢هـ
الموافق ١٢ أيار (مايو) ٢٠٢١

الراعي والرعية

في الصحيحين، عن الحسن البصري قال: عاد عبد الله بن زياد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل: إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

﴿ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة﴾[١].

وفي صحيح مسلم عن عائشة، رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومَن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به﴾[٢].

---

[١] أخرجه البخاري ١٢٦/١٣- ١٢٧، ومسلم ١٤٠/٣.
[٢] رواه مسلم ١٤٥٨/٣.

قصص الأطفال

١ ـ ينبغي أن تهدف قصص الأطفال إلى ترسيخ الأسس الدينية والقيم الاجتماعية السليمة، وألا تحتوي على ما يتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي أو الأعراف والتقاليد السليمة...

٢ ـ كما ينبغي أن تهدف القصص إلى:

ـ إثراء لغة الطفل.

ـ توجيه سلوك الطفل نحو الآداب العامة ومراعاتها.

ـ تكوين اتجاهات إيجابية نحو المهن والحرف وتنمية حب الطفل لها.

ـ توجيه الطفل إلى قيمة الوقت وأهمية العمل وإتقانه.

ـ تزويد الطفل ببعض المعارف الجديدة.

٣ـ وأن تتسم القصص بأسلوب التشويق المناسب لهم في هذه المرحلة.

٤ـ ويحسن أن تراعى الأمور التي يمتاز بها الأطفال في هذه السنوات، وبالنقاط التالية خاصة:

أـ ميلهم إلى القصص الواقعي.

ب ـ إعجابهم بالبطولة والمغامرة.

ج ـ سهولة استيعابهم الجمل القصيرة.

٥ ـ أن يراعي المؤلف الجوانب التالية:

أ ـ ألا تحوي القصة أكثر من عقدة.

ب ـ أن تكون القصة باللغة العربية الفصحى المناسبة لهذه المرحلة.

من أحاديث المصطفى
صلى الله عيه وسلم

أنواع الناس

ـ عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن من الناس مفاتيح الخير، مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر، ومغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه﴾[٣].

ـ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة سنة ولا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾[٤]﴾[٥].

قال ابن الجوزي: يقال لهذه الشجرة «طوبى».

قضاء حوائج الناس

قال ﷺ: ﴿إن لله أقواماً يختصهم الله بالنعم لمنافع العباد ويقرّهم فيها ما بذلوها. فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم﴾[٦].

إصلاح ذات البين

قال ﷺ: ﴿أَلَا أَدُلُّكُم على أَفْضَلَ من درجةِ الصلاةِ والصيامِ والصدقةِ؟ قالوا:

---

[٣] ٤٦/١ صحيح سنن بن ماجه.
[٤] سورة الواقعة: ٢٠.
[٥] صحيح سنن ابن ماجه ٤٢٧/٢.
[٦] السلسلة الصحيحة، ٢٩٥/٤.

بلى يا رسولَ اللهِ. قال: إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ، فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ. لا أقولُ: إنها تَحْلِقُ الشَّعْرَ ولكن تَحْلِقُ الدِّينَ﴾[٧].

فضل يوم الجمعة الذي خص الله به هذه الأمة

ـ إنه يوم عيد:

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل، وإن كان له طيب فليمس منه، وعليكم بالسواك﴾[٨].

ـ إنه سيد الأيام وأعظم من يوم الأضحى ويوم الفطر:

عن أبي لبابة بن عبد المنذر قال: قال النبي ﷺ: ﴿إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله. وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر. فيه خمس خلال:

ـ خلق الله فيه آدم.

ـ وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض.

ـ وفيه توفى الله آدم.

ـ وفيه ساعة لا يسأل الله فيه العبد شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً.

ـ وفيه تقوم الساعة.

ـ ﴿ما من ملك مقرّب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا

---

[٧] غاية المرام، ٤١٤، حكم المحدث: صحيح.

[٨] صحيح سنن ابن ماجه ١/ ١٨١، حكم المحدث: حسن.

وهن يشفقن من يوم الجمعة﴾[٩].

ـ إنه المدخر لهذه الأمة: لقوله ﷺ: ﴿أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا ليوم الجمعة﴾[١٠].

ـ إنه يُكره صومه منفرداً:

لحديث الشيخين عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لا يصومن أحدكم في يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو بعده﴾[١١].

واختلف في الحكمة التي كره الصوم لأجلها على أقوال كثيرة، لعل أهمها:

ـ خوف اعتقاد وجوبه: واختاره النووي[١٢].

ـ إنه عيد، والعيد لا يصام. واختاره ابن حجر[١٣].

وأيده بالحديث الذي أخرجه الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً:

﴿يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمُ عِيدٍ؛ فَلَا تَجْعَلُوا يَوْمَ عِيدِكُمْ يَوْمَ صِيَامِكُمْ، إِلَّا أَنْ تَصُومُوا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ ﴾[١٤].

ـ مخالفة اليهود لأنهم يصومون يوم عيدهم؛ أي يفردونه بالصوم، فنهى عن التشبُّه بهم، كما خولفوا في يوم عاشوراء بصيام يوم قبله أو بعده. وهذا القول هو المختار عند السيوطي، قال: لأنه لا ينتقض بشيء.

---

[٩] صحيح سنن ابن ماجه ١/ ١٧٨، حكم المحدث: حسن.
[١٠] صحيح مسلم ٣ـ ٧ باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة.
[١١] فتح الباري ٤/ ٢٣٢، وصحيح مسلم ٣/ ١٥٤.
[١٢] شرح صحيح مسلم، ١٩/٨.
[١٣] فتح الباري، ٢٣٥/٤.
[١٤] المستدرك، ٣٢٧/١.

ـ إن صبحها أفضل الصلوات عند الله، لقوله ﷺ: ﴿إن أفضل الصلوات صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة﴾[١٥].

ـ اختصاصها بإرادة تحريق من تخلف عنها، فعن ابن مسعود أن النبي ن ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة: ﴿لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم﴾[١٦].

ـ ومن ترك ثلاث جُمع كان منافقاً، فقد خرّج أبو داود، والترمذي، والحاكم وابن ماجه والنسائي وابن خزيمة عن أبي الجعد الضمري أن رسول الله ﷺ قال: ﴿من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه﴾[١٧].

هذا، وقد فسر (الطبع) في حديث أبي الجعد بأنه «طبع النفاق»، كما في قوله تعالى في سورة « المنافقون»: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[١٨]. وقيل «طبع ضلال»، كما في الحديث، ثم يكون؛ أي القلب، كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً.

نسأل اله العافية والسلامة، لنا ولجميع المسلمين، والتوفيق لفضل هذا اليوم الذي خص الله به هذه الأمة[١٩].

ـ اختصاصها بالخطبة والإنصات، فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة قال:

---

[١٥] صحح الألباني إسناده: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ٩١.

[١٦] رواه أحمد ومسلم، أضواء البيان للشنقيطي ٢٩٣/٨.

[١٧] مختصر أبي داود برقم ١٠١١، وتحفة الأحوذي ١٣/٣، والمستدرك ٢٩٢/١، وابن ماجه برقم ١١٢٥، والنسائي ٨٨/٣، وابن خزيمة ١٧٦/٣.

[١٨] سورة المنافقون: ٣.

[١٩] أضواء البيان: ٢٩٣/٨.

قال رسول الله ﷺ: ﴿من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بين الجمعة والجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام. ومن مس الحصا فقد لغا﴾[٢٠].

ـ استحباب الاغتسال ولبس أحسن الثياب، فقد أخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن أبي سعيد وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب إن كان عنده، ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد، ولم يتخط رقاب الناس، ثم ركع ما شاء الله أن يركع، وأنصت إذا خرج الإمام، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي قبلها﴾[٢١].

ـ أهمية التبكير، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إذا كان يوم الجمعة، كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طوَوا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر﴾[٢٢].

ـ ضرورة قراءة سورة الكهف، فقد أخرج الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ﴿من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له ما بين الجمعتين﴾[٢٣].

ـ الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ، فعن أبي الدرداء، قال: قال

---

[٢٠] شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ١٣٦.
[٢١] مسند أحمد ٨١/٣، وأبو داود ٣٢٣، والمستدرك ٢٨٣/١.
[٢٢] فتح الباري ٢/ ٤٠٧.
[٢٣] المستدرك ٥٦٤/١، وقال: «صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي»، وسنن البيهقي ٢٤٩/٣.

رسول الله ﷺ: ﴿أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة﴾[٢٤].

ـ قراءة «حم الدخان» و«يس» ليلتها، فقد أخرج البهيقي في الشعب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿من قرأ ليلة الجمعة «حم الدخان» و«يس» أصبح مغفوراً له﴾، وأخرج الأصفهاني بلفظ ﴿من قرأ «يس» في ليلة الجمعة غفر له﴾[٢٥].

ـ حظ من يموت يوم الجمعة أو ليلتها وقاية عذاب القبر، لقوله ﷺ: ﴿ما من مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وقي عذاب القبر وفتنة القبر، ولقي الله لا حساب عليه، وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له أو طابع﴾[٢٦].

ـ بعثه الجمعة زهراء كالعروس، لقوله ﷺ: ﴿إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث الجمعة زهرة منيرة، أهلُها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها، تضيء لهم يمشون في ضوئها، ألوانها كالثلج بياضاً، وريحهم يسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان، لا يطرقون تعجباً حتى يدخلوا الجنة، لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون﴾[٢٧] (قال الحاكم: صحيح الإسناد. وقال الألباني: إسناده جيد، ورجاله ثِقات).

---

[٢٤] ابن ماجه، برقم ١٦٣٧.
[٢٥] إسناده جيد، ذكره ابن كثير في تفسير سورة «يس».
[٢٦] رواه أحمد في المسند ١٦٩/٢، و١٧٦، و٢٢٠، وإسناده حسن أو صحيح بما قبله. مشكاة ٤٣٢/١.
[٢٧] أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٧٧/١، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٣٠/٢.

فـائــدة

جاء في كتاب أضواء البيان للشنقيطي، على لسان الشيخ عطية محمد سالم قوله: «وتقدم لفضيلة والدنا الشيخ (يعني الشنقيطي) رحمة الله تعالى علينا وعليه، بحث مفصل استدل بدليل قرآني على سقوط الجمعة عن النساء، وذلك عند قوله تعالى: ﴿في بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ۞ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصلاةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَاةِ﴾[٢٨]، وبيّن ـ رحمة الله علينا وعليه ـ مفهوم «رجال»: هل هو مفهوم صفة أو مفهوم لقب، وساق علاقة النساء بالمساجد في الجمعة وغيرها و...»[٢٩].

---

[٢٨] سورة النور: ٣٦، ٣٧.
[٢٩] أضواء البيان ٢٩٧/٨.

مُعاق أو مَعُوق أومُعوَّق

في مُعجَمي:

١ـ محيط المحيط لـ«بطرس البستاني»

٢- والمنجد لـ«لويس معلوف»

نجد الفعل «أعاق»: إعاقة، وكلمة «مُعاق».

أما المعجمات القديمة: لسان العرب، والقاموس المحيط، والمِصباح المنير فإننا لا نجد الفعل «أعاق» وكذلك لا نجد هذا الفعل في «المعجم الوسيط».

وهكذا فالفعل على الصحيح:

إما «عاق» واسم المفعول: مَعُوق.

وإما «عُوِّق» واسم المفعول: مُعَوَّق.

وعليه لا يصح أن نقول "مُعاق»، والقول الصحيح «مَعُوق» أو «مُعَوَّق»، ونقول: مؤسسة «المَعُوقين» أو «المُعوَّقين».

اللغة العربية والشريعة الإسلامية

إن سبيل المؤمنين هو طريق الحق والرشاد، لأنهم أصحاب سيدنا محمد ﷺ، فمن اتبع سبيلهم نجا، ومن خالفهم جرّ على نفسه الوبال في الدنيا والآخرة وكان من النادمين.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[٣٠].

وهكذا فالفهم الصحيح لمنهاج هذا الدين الحنيف هو فهم القرآن الكريم وفهم سنة المصطفى ﷺ، وفهم سنن الخلفاء الراشدين. ولن يكون ذلك الفهم المطلوب دقيقاً عميقاً إلا بفهم اللغة العربية وآدابها والتمكن منها، ولا سيما «نحوها» و«صرفها» و«بلاغتها».

إن رسول الله ﷺ بيّن في الحديث الصحيح أن أمته ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، ولما سألوه عن تلك الفرقة الناجية، جاء في الحديث روايتان: الأولى: ﴿الجماعة﴾، والأخرى قوله: ﴿ما أنا عليه وأصحابي﴾. وخطَّ خطاً تحت «أصحابي»، المعطوفة على الضمير «أنا» الذي يعني محمداً ﷺ، ولا ريب في أن هذه الواو عاطفة لمطلق الجمع، التي تفيد الاشتراك في الحكم الواحد. ويؤيد هذا الحديث حديث آخر، هو قوله ﷺ: ﴿...عليكم بسنّتي وسنّةِ الخلفاءِ المَهديّين الرّاشدين تمسّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنواجذِ﴾[٣١]، وهنا خُطّ خطاً تحت «سنّة الخلفاء

---

[٣٠] سورة النساء: ١١٥.

[٣١] سنن أبي داوود برقم ٤٦٠٧، ومسند أحمد، برقم ١٧١٨٥.

الراشدين»، فإن الواو عاطفة لمطلق الجمع التي تفيد الاشتراك في الحكم الواحد، وعليه فسنة الخلفاء الراشدين معطوفة على سنته ﷺ.

إن سيدنا رسول الله ﷺ رحمة مهداة للعالمين، وهو ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٣٢]، ومن رأفته ورحمته أمرنا بالعودة إلى السلف الصالح لفهم جميع الأمور التي لا بد منها، ونعني بهم أولئك الفقهاء والعلماء الأوائل من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية ـ كما جاء في الحديث الشريف الصحيح: ﴿ خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...﴾[٣٣].

نعم إنه لا يمكن فهم الكتاب والسنة إلا بفهم اللغة العربية والتمكن من علومها وآدابها تمكناً خاصاً.

عندنا هذه الآية: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ﴾[٣٤].

ههنا سؤال: هل حَكَم الله تعالى على الفئة الباغية بالكفر؟ قد يتعجل بعض طلاب العلم الحرفيين قائلاً: أنا أذكر هذا الحديث الشريف الصحيح وأنت تحكم: هذا الحديث هو: ﴿سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ﴾[٣٥].

والجواب الصحيح أن لفظة «الكفر» تعطي من المعاني والدلالات بقدْر ما يتاح لها من استعمالات، فقد يكون الكفر بمعنى الجَحد ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[٣٦]؛

---

[٣٢] سورة التوبة: ١٢٨.
[٣٣] صحيح البخاري، برقم ٦٦٩٥.
[٣٤] سورة الحجرات :٩.
[٣٥] صحيح البخاري، برقم ٤٨.
[٣٦] سورة آل عمران: ٩٧.

أي من جحد الحج... وقد يكون الكفر على سبيل التغليظ كقوله ﷺ: ﴿العَهدُ الَّذي بيننا وبينهم الصَّلاةُ، فمَن تركَها فَقد كَفرَ﴾[٣٧] وكقوله ﷺ: ﴿إنَّ بيْنَ الرَّجُلِ وبيْنَ الشِّرْكِ والْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ﴾[٣٨]؛ لأننا نعلم في التاريخ الإسلامي أن فرقة الخوارج هي التي كانت تكفّر مرتكب الكبيرة، أما أهل السنة والجماعة فإنها لا تستطيع التكفير كي لا يبوء أحد الاثنين بالكفر، كما جاء في الحديث الشريف الصحيح: ﴿أَيُّما رَجُلٍ قالَ لأخِيهِ: يا كافِرُ، فقَدْ باءَ بها أحَدُهُما﴾[٣٩]

إنه لا بد من التفريق بين نوعين من الكفر: الكفر الاعتقادي الذي يكون بالقلب ولا يعلم هذا إلا الله، أو عندما يصرح المرء بلسانه ما في قلبه. والكفر العملي لا يعني الخروج عن الملة، وعليه فقوله ﷺ: ﴿سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ﴾[٤٠] يقصد منه الكفر العملي، لا الاعتقادي، وكلنا يعلم قتال معاوية وعلي رضي الله عنهما.

والصواب أن نعطي الخبر للخباز، ونوطن أنفسنا على سؤال من هو أعلم منا، وليكن في معلومنا أن كل العصاة من الذين يزنون، ويشربون الخمر، ويرابون إنما هم مسلمون، لكن سلوكهم هذا إنما هو كفر عملي، وهذا الكفر لا يخرجهم عن ملتهم، ولا يجعلهم مرتدين عن دينهم الحنيف، ولا يستطيع مؤمن عاقل وصْفهم بالكفر الاعتقادي، وقد رأينا الحديث المتقدم:

---

[٣٧] صحيح الترمذي برقم ٢٦٢١، وصحيح ابن ماجه برقم ٨٩١.
[٣٨] صحيح مسلم، برقم ٨٢.
[٣٩] صحيح البخاري، برقم: ٦١٠٤.
[٤٠] تقدم تخريجه برقم ٣٢.

﴿أَيُّما رَجُلٍ قالَ لأخِيهِ: يا كافِرُ، فقَدْ باءَ بها أحَدُهُما﴾[٤١].

نسأل الله أن يدفع عنا الفتن، وأن يعلمنا ويفهمنا، ويرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه. هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

---

[٤١] تقدم تخريجه برقم ٣٩.

تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة

قال ابن القيم: «...إن مبنى الشريعة وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها...»[٤٢]، أما الإمام القرافي المالكي فبيّن في كتاب «الأحكام» أن «استمرار الأحكام التي أصلها العُرف والعادة ـ مع تغير تلك العوائد ـ خلاف الإجماع وجهالة في الدين...». وأما ابن عابدين من متأخري الحنفية، فقد كتب رسالته المشهورة: «نشر العَرف في بناء بعض الأحكام على العُرف»، وذكر في هذه الرسالة النافعة أن كثيراً من الأحكام تختلف باختلاف الزمان، لتغير عرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو...»[٤٣].

«لقد كان أبو حنيفة في أول عهد الفرس بالإسلام، وصعوبة نطقهم بالعربية يرخص لهم القراءة باللغة الفارسية، فلما لانت ألسنتهم من ناحية، وانتشر الزيغ والابتداع من ناحية أخرى، رجَع عن هذا القول»[٤٤].

إن لفظة «تحية» النكرة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[٤٥] تفيد التنوع والتعدد والشمول.

وهكذا يرى المرحوم الشيخ محمد الغزالي أن تكون الآية «في سائر التحيات المتبادلة»[٤٦].

---

[٤٢] إعلام الموقعين، ج٣ ص٢٧ فما بعدها.
[٤٣] رسائل ابن عابدين ١٢٥/٢.
[٤٤] الخصائص العامة للإسلام، القرضاوي، ص ٢٤٨.
[٤٥] سورة النساء: ٨٦.
[٤٦] نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ص ٦٠.

أما الشيخ الدكتور القرضاوي فإنه قسم المجتمع المسلم أربعة فصائل: فصيل التكفير، وفصيل العنف، وفصيل التشدد، وفصيل الوسطية، ثم نعت فصيل التشدد والجمود بالحرفية في الفقه، والتعسير في الفتوى، والتنفير في الدعوى والخشونة في التعامل ثم قال: «...وهم يتبنون أشد الآراء تعسيراً على المسلمين، فهم يحرمون الإقامة في ديار الغربة على رغم شدة الحاجة إلى ذلك في عصرنا لأسباب شتى، وكذلك أخذ الجنسية من البلاد الأجنبية، لأنها تعدّ ولاءً لهم...» ثم قال: «ويحرمون على المسلم أن يجامل جاره أو زميله أو مشرفه المسيحي فيهنئه بعيد من أعياده، وإن كان هو يهنئ المسلم بأعياده الإسلامية، مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[٤٧].

وقد قال ابن عثيمين إنه «لا يوجد سلاح أشد فتكاً من الاختلاف... وهذا الاختلاف الذي نجده من بعض الإخوة الحريصين على اتباع السنة أرى أنه خلاف السنة، وما تقصده الشريعة من توحد الكلمة واجتماع الأمة، لأن هذا ـ ولله الحمد ـ ليس أمراً محرماً ولا منكراً، بل هو أمر يسوغ فيه الاجتهاد...»[٤٨].

وهكذا نرى أن حكم التهنئة يختلف باختلاف الزمان، فإن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي صورته غير صورة المسلمين في بلاد أوربا وأمريكا.

---

[٤٧] الشرق الأوسط ـ الإثنين ٢٥ رمضان ١٤١٧ هـ الموافق ٣ شباط (فبراير) ١٩٩٧م العدد ٦٤٢.
[٤٨] الشرح الممتع على زاد المستنقع ٨٦/٤، ٨٧.

أما فتوى ابن تيمية فهي فتوى في زمن مضى عليها سبعة قرون، فضلاً على أنه ـ رحمه الله ـ قالها في فئة قليلة داخل المجتمع الإسلامي...

علينا نحن المسلمين أن نعلّم الناس جميعاً بأن سيدنا محمداً ﷺ قد عامل أهل الكتاب من اليهود والنصارى معاملة حسنة، فقد كان يزورهم ويكرمهم ويحسن إليهم ويعود مرضاهم ويأخذ منهم هداياهم ويعطيهم...

وعلينا أن نشرح للناس بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بصرف معاش دائم ليهودي وعياله من بيت مال المسلمين، ثم قال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾[٤٩] وهذا من مساكين أهل الكتاب[٥٠].

ونعلّم الناس أيضاً بأن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أوصى غلامه أن يعطيَ جاره اليهودي من الأضحية، وقد كرر الوصية غيرَ مرة، حتى دُهش الغلام، وسأله عن سِر هذه العناية بجاره اليهودي! فقال ابن عمر: «إن النبي ﷺ قال: ﴿مازالَ جِبريلُ يوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنهُ سيورّثُه﴾[٥١].

لقد شرح المحقق شهاب الدين القرافي معنى «البر» الذي أمر به المسلمين في شأن أهل الكتاب، فذكر من ذلك: «الرفق بضعيفهم، وسدّ خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولِين القول لهم على سبيل اللطف لهم لا على سبيل المذلة، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلهم الله من أهل السعادة،

---

[٤٩] سورة التوبة: ٦٠.
[٥٠] الخراج لأبي يوسف ص٢٦.
[٥١] رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي

ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم، وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يُعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم جميع حقوقهم...[٥٢]. فينبغي للمسلم:

١ ـ أن يعتقد بكرامة الإنسان أياً كان دينه أو جنسه أو لونه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَني آدَمَ﴾[٥٣] وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.

٢ ـ أن يعتقد المسلم أن اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى، الذي منح النوع من خلقه الحرية والاختيار في ما يفعله ويدع:

﴿وَلَو شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمّةً واحِدةً وَلا يَزالونَ مُخْتَلِفينَ ۝ إِلّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٥٤]. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٥٥].

٣ ـ أن يعتقد المسلم بأن الله يأمر بالعدل، ويحب القِسط، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ولو مع المشركين، ويكره الظلم ويعاقب الظالمين ولو كان الظلم من مسلم لكافر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٥٦]. وقال ﷺ: ﴿دَعوةُ المظلومِ ـ وإن كان كافراً ـ ليس دونَها حجاب﴾[٥٧]. اللهم علمنا وفهمنا وافتح علينا أبواب رحمتك.

---

٥٢ الفروق ج ٣ ص ١٥.
٥٣ سورة الإسراء: ٧٠.
٥٤ سورة هود: ١١٨، ١١٩.
٥٥ سورة يونس: ٩٩.
٥٦ سورة المائدة: ٨
٥٧ رواه أحمد في مسنده.

حسن الظن وعدم تكفير المسلم

قال الإمام الشهير الحافظ عبد الرحمن بن بطة: «...عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين مني والأبعدين والعارفين والمنكرين، فإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر من لقيت بها، موافقاً أو مخالفاً، دعاني إلى متابعته على ما يقوله، وتصديق قوله والشهادة له.

ـ فإن كنت صدقته في ما يقول وأجزت له ذلك كما يفعله أهل هذا الزمان سماني «موافقاً».

ـ وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد سماني «خارجياً».

ـ وإن قرأت عليه حديثاً في التوحيد سماني «مشبهاً».

ـ وإن كان في الرؤيا سماني «سالمياً».

ـ وإن كان في الإيمان سماني «مرجئياً».

وإن كان في الأعمال سماني «كرّامياً».

ـ وإن كان في فضائل أهل البيت سماني «رافضياً».

- وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر سمّاني «ناصبياً»[٥٨].

ـ وإن سكتُّ عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما سماني «ظاهرياً».

---

[٥٨] الجمع نواصب، وهي تسمية أطلقت على من ناصبوا العداء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآل البيت، وقد أطلقها الروافض علينا نحن المسلمين (السّنّة)، قالوا: لأننا نصبنا العداء ضد «يحيى»!

ـ وإن أجبت بغيرهما سماني «باطنياً».

ـ وإن أجبت بـتأويل سماني «أشعرياً».

ـ وإن جحدتهما سماني «معتزلياً».

ـ وإن كان في السنن مثل القراءة سماني «شافعياً».

ـ وإن كان في القنوت سماني «حنفياً».

ـ وإن كان في القرآن سماني «حنبلياً».

إننا قلما نجد عالماً مشهوراً أو فاضلاً مذكوراً إلا وقد نُبذ بهذه الأمور أو بعضها؛ لأن الهوى قد يداخل المخالف، بل إن سبب الخروج عن السنة: الجهل بها، والهوى المتبع الغالب على أهل الخلاف...

ـ إن تصنيف الداعية ـ وهو من أهل السنة ـ ورميه بالنقائض ناقض من نواقض الدعوة، وإسهام في تقويض الدعوة، وتدمير الثقة، وصرف الناس عن الخير؛ لأنه ليس أحد من أفراد العلماء إلا وله نادرة ينبغي أن تُغمر في جنب فضله وتُجتنب.

ـ إنه لا يضع من العالم الذي برع في دعوته: زلةٌ إن كانت على سبيل السهو والإغفال، فإنه لم ينج من الزلة إلا مَنْ عصمه الله عز وجل، والفاضل من عدت سقطاته، فهذا الحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ يقول في ترجمة كبير المفسرين قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى عام ١١٧ هـ رحمه الله بعد أن اعتذر عنه: «ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه،

وعُلم تحريه للحق واتسع علمه وظهر ذكاؤه وعرف صلاحه وورعه، واتباعه يغفر له زلله، ولا نُضلله ونطّرحه وننسى محاسنه. نعم: ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك»[٥٩].

وقال أيضاً في دفع العتاب عن الإمام محمد بن نصر المروزي، رحمه الله تعالى: «ولو أنّا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له، قمنا عليه، وبدّعناه وهجرناه لما سلِم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق. وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة»[٦٠].

وقال في ترجمة إمام الأئمة ابن خزيمة المتوفى عام ٣١١ هـ، رحمه الله: «فليعذر من تأول بعض الصفات. وأما السلف فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكفّوا، وفوّضوا عِلم ذلك إلى الله ورسوله. ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه وبدعناه لقلَّ من يسلم من الأئمة معنا. رحم الله الجميع بمنه وكرمه»[٦١].

وقال في ترجمة باني مدينة الزهراء بالأندلس الملقب بأمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد، صاحب الأندلس المتوفى عام ٣٥٠ هـ: «أما إذا أماتَ الجهادَ وظلم العبادَ فإن ربك لبالمرصاد»[٦٢].

وذكر في ترجمة إسماعيل التيمي المتوفى عام ٥٣٥ هـ: أنه قال: «أخطأ

---

[٥٩] سير أعلام النبلاء ٢٧١/٥.
[٦٠] المصدر السابق ٤٠/١٤.
[٦١] المصدر نفسه ٣٧٤/١٤.
[٦٢] المصدر نفسه ٥٦٤/١٥.

ابن خزيمة في حديث الصورة، ولا يُطعن عليه بذلك، بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب»[٦٣].

قال أبو موسى المديني: «أشار بهذا إلى أنه قلَّ إمام إلا وله زلة، فإذا تُرك لأجل زلته، تُرك كثير من الأئمة، وهذا لا ينبغي أن يُفعل».

هذا الذهبي نفسه قد تكلم - رحمه الله - في أن علوم أهل الجنة تسلب عنهم في الجنة ولا يبقى لهم شعور بشيء منها[٦٤]. وقد تعقبه العلامة الشوكاني في فتاواه المسماة: «الفتح الرباني»، وذكر إجماع أهل الإسلام على أن عقول أهل الجنة تزداد صفاء وإدراكاً لذهاب ما كان يعتريهم في الدنيا. وساق النصوص في ذلك، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[٦٥].

وقال شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في جواب له بإبطال فتوى قضاة مصر بحبسه وعقوبته من أجل فتواه بشأن شد الرحل إلى القبور: «إنه لو قدر أن العالم الكثير الفتاوى، أفتى في عدة مسائل بخلاف سنة رسول الله ﷺ الثابتة عنه، وخلاف ما عليه الخلفاء الراشدون: لم يجز منعه من الفتيا مطلقاً، بل يبين له خطؤه في ما خالف فيه، فما زال في كل عصر من أعصار الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين من هو كذلك...»[٦٦].

---

[٦٣] المصدر نفسه ٨٨/٢٠.
[٦٤] أبجد العلوم لصديق خان ١ ـ ١٥ـ ٢٠.
[٦٥] سورة يس: ٢٦.
[٦٦] مجموع الفتاوى: ٣١١/٢٧.

وهذا الإمام الحافظ ابن حيان المتوفى عام ٣٥٤ هـ ـ رحمه الله ـ قد تفوه بقوله: «النبوة العلم والعمل»، فهُجر وحُكم عليه بالزندقة وكُتب فيه إلى الخليفة فكتب بقتله.

لكن أنصفه المحققون من أهل العلم فوجّهوا قوله واستفادوا من علمه وفضله، ومنهم: ابن القيم، والذهبي[٦٧]، وابن حجر[٦٨]، وسواهما من المحققين.

ورحم الله الشيخ طاهر الجزائري المتوفى عام ١٣٣٨ هـ القائل، وهو على فراش الموت: «عُدّوا رجالكم، واغفِروا لهم بعضَ زلاتهم، وعضّوا عليهم بالنواجذ لتستفيد الأمة منهم، ولا تنفّروهم لئلّا يزهدوا في خدمتكم».

أما في هذا الزمان فيطلع علينا أحياناً أناس طيبون، لكنهم يجهلون بأن مرتكب الكبيرة لا يكفر إلا عند فرقة الخوارج، فيكفّرون بعض الدعاة إلى الله، ولا أدري أهو كفر عملي أم هو كفر اعتقادي، أم هو كفر على سبيل التغليظ؟

نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى السبيل القويم، وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

---

[٦٧] تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٢٢.

[٦٨] لسان الميزان ٥/١١٣ ـ ١١٦.

صحة القول بالاجتهاد والقياس في ما لا نص فيه

إن إلحاق النظير بنظيره المنصوص عليه غير مخالف للشرع الكريم، وذلك بأن إلحاق المسكوت عنه المنطوق به بنفي الفارق بينهما لا يكاد ينكره إلا مكابر، وهو نوع من القياس الجلي، ويسميه الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ القياس في معنى الأصل، وأكثر أهل الأصول لا يطلقون عليه اسم القياس، مع أنه إلحاق مسكوت عنه بمنطوق به لعدم الفرق بينهما، أعني الفرق المؤثر في الحكم.

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾[٦٩] فإنه لا يشك عاقل في أن النهي عن التأفيف المنطوق به يدل على النهي عن الضرب المسكوت عنه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾[٧٠]، فإنه لا شك أيضاً في أن التصريح بالمؤاخذة بمثقال الذرة والإثابة عليه المنطوق به يدل على المؤاخذة والإثابة بمثقال الجبل المسكوت عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ﴾[٧١]، لا شك في أنه يدل على أن شهادة أربعة عدول مقبولة وإن كانت شهادة الأربعة مسكوتاً عنها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ

---

[٦٩] سورة الإسراء: ٢٣.
[٧٠] سورة الزلزلة: ٧،٨.
[٧١] سورة الطلاق: ٢.

نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٧٢]، لا شك في أنه يدل على منع إحراق مال اليتيم وإغراقه، لأن الجميع إتلاف له بغير حق.

ونهي النبي ﷺ عن التضحية بالعوراء يدل على النهي عن التضحية بالعمياء، مع أن ذلك مسكوت عنه.

وقوله ﷺ ﴿لا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بيْنَ اثْنَيْنِ وهو غَضْبَانُ﴾[٧٣] لا شك في أنه يدل على منع قضاء الحكم في كل حال يحصل بها التشويش المانع من استيفاء النظر، كالجوع والعطش المفرِطَين، والسرور والحزن المفرطين، والحقن والحقب المفرِطَين.

عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ، قال: ﴿إذا حَكَمَ الحاكِمُ فاجْتَهَدَ ثُمَّ أصابَ فَلَهُ أجْرانِ، وإذا حَكَمَ فاجْتَهَدَ ثُمَّ أخْطَأَ فَلَهُ أجْرٌ﴾[٧٤].

قال النووي في شرح هذا الحديث: «قال العلماء: أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهلٍ للحكم، فإن أصاب فله أجران: أجر باجتهاده، وأجر بإصابته. وإن أخطأ فله أجر اجتهاده. وفي الحديث حذفٌ تقديرُه: إذا أراد الحاكم أن يحكم فاجتهد.

قالوا: فأما من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم، فإن حكم فلا أجر له، بل هو آثم، ولا ينعقد حكمه، سواء أوافق الحق أم لا؛ لأن إصابته اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعي، فهو عاص في جميع أحكامه، سواء

---

[٧٢] سورة النساء: ١٠.
[٧٣] صحيح البخاري، برقم: ٧١٥٨.
[٧٤] المصدر السابق، برقم: ٧٣٥٢.

أوافق الصواب أم لا، وهي مردودة كلها، ولا يعذر في شيء من ذلك. وقد جاء في الحديث: ﴿القُضاةُ ثلاثةٌ، اثنانِ في النَّارِ، وواحدٌ في الجنَّةِ، رجلٌ علِمَ الحقَّ فقضَى بهِ فَهوَ في الجنَّةِ، ورجلٌ قضَى للنَّاسِ علَى جَهْلٍ فَهوَ في النَّارِ، ورجلٌ جارَ في الحُكْمِ فَهوَ في النَّارِ﴾[٧٥] فإن قيل: الاجتهاد المذكور في الحديث هو الاجتهاد في تحقيق المناط دون غيره من أنواع الاجتهاد. فالجواب: أن هذا صرف لكلامه ﷺ عن ظاهره من غير دليل يجب الرجوع إليه، وذلك ممنوع.

[٧٥] صحيح ابن ماجه، برقم: ١٨٨٧.

بواعث التفريط في الدين

١ ـ الكسل: ينتج منه التفلت من أحكام الدين، والتهاون في أداء الواجبات، والتهرب من الالتزام بالآداب المطلوبة، وتأجيل القيام بالعبادات، والتمني على الله الأماني. روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم عن شداد بن أوس، رضي الله عنه، مرفوعاً قوله، ﷺ: ﴿وَالعاجزُ مَنْ أتْبَعَ نَفْسَهُ هَواها وَتَمَنّى على اللهِ الأمانيَّ﴾[٧٦].

٢ـ اتباع الشهوات: فيرتكب المرء المعاصي، وينغمس في المحرمات، ويغفُل عن أحكام الدين، ويعرِض عن العبادات، ويتحايل على بقية الأحكام. وَلْنتدبّر هاتين الآيتين:

ـ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٧٧].

ـ ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[٧٨].

٣ ـ ضعف الإيمان: إنه متى تعرّض الإيمان للوهن والضعف في القلوب والنفوس تحركت النزعة المادية للإغراق في الشهوات، فيهمل المرء الجانب الروحي من قلبه، ويُلغيه من حياته؛ لأن الغرائز إذا سيطرت على

---

[٧٦] الفتح الكبير ٣٣٩/٢.
[٧٧] سورة آل عمران: ١٤.
[٧٨] سورة مريم: ٥٩.

صاحبها تحكمت في حياته، وصرفته عن مقتضى العقل والدين والشرع، فتتميع عنده مقاصدُ الشريعة وأهدافها الأساسية، فينظر إلى الحياة بعين واحدة، ومن زاوية ضعيفة، ولا يفكر إلا بما يقع عليه بصره.

ومن هنا يبين سيدنا رسول الله ﷺ أثر غياب الإيمان وضعفه فيقول: ﴿لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وهو مُؤْمِنٌ...﴾[٧٩].

٤ ـ وساوس الشيطان: أرأيتم ضخ الدم والدورة الدموية؟ علامَ يدل هذا؟ هنا معادلة: حركة القلب تساوي الحياة، وهكذا فالقلب لا يتوقف، فهو في حركة دائمة، فإن توقف كان الموت. وهكذا فوساوس الشيطان تجري من ابن آدم، كجريان الدم في العروق تماماً.

لكن القرآن الكريم حذر من اتباع خطوات الشيطان؛ لأنها توقع في الهلاك والضلال، فقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[٨٠].

وقد أمرنا بالاستعاذة منه، وما أجملَ سلاحَ المؤمن! إنه الوضوء...

٥ ـ دُعاة الشر والفساد: وقصدهم من قذفهم الافتراءات والشبهات والشعارات الفارغة إبعاد الناس عن دين الله وصراطه المستقيم، فيُغرونهم بالمال والجاه، وهو ما يسمى بمتاع الحياة الدنيا، فتصيبهم الفتنة.

---

[٧٩] صحيح البخاري، برقم ٢٤٧٥.
[٨٠] سورة النور: ٢١.

واقرأ قوله، ﷺ: ﴿إنّ لِكُلِّ أمّةٍ فِتنةً، وفتنةُ أمَّتي المالُ﴾[٨١]، وهكذا يتفلتون من أحكام دينهم شيئاً فشيئاً.

٦ ـ الجهل بالدين: يقول علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: «لا يُرى الجاهل إلا مُفرِطاً أو مُفرّطاً». والمُفرِط هو المسرف في العمل، وأما المفرّط فهو المقصّر فيه.

إن الفهم الخاطئ عن الدين، والتأثر بما هو دخيل عليه، والتطبيق الخاطئ لأحكام الدين، والأداء الجامد أو الحرفي لبعض أحكامه دون السعي وراء أهداف الشرع، ومرامي الأحكام التي شرعت من أجلها... كل أولئك وما شابهه من الجهل بالدين.

الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نسأل العلماء إن كنا جاهلين بالحكم: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٨٢].

فلماذا نقف أمام الحديث الشريف: ﴿لا تَبْدَؤُوا اليَهُودَ ولا النَّصارَى بالسَّلامِ...﴾[٨٣] وننفّذه بحرفيته من غير سؤال أهل الذكر؟ هذه سماحة مفتي السعودية الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ يقول: «لا بأس أن نبدأهم بالسلام، نحو: كيف أصبحت؟ كيف أمسيت؟ صرّح بذلك جمعٌ من أهل العلم، منهم أبو العباس ابن تيمية»[٨٤].

لو نظرنا إلى (أل) في «السلام» لعلمنا أنها عهدية ذهنية، وهي تحية

---

[٨١] صحيح الترمذي، برقم ٢٣٣٧.
[٨٢] سورة النحل: ٤٣.
[٨٣] صحيح مسلم، برقم ٢١٦٧.
[٨٤] فتوى رقم ١١١٢٣.

المسلمين: السلام عليكم: وهكذا فقولنا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته هي المنهية في الحديث الشريف من المسلم لغير المسلم.

٧ ـ خلط الأعمال الصالحة بالأعمال السيئة: وذلك بأن يقوم المرء بأداء الفرائض والواجبات، وفي الوقت نفسه يرتكب الكبائر، ويمرح في الموبقات، ويمرغ في الآثام، كأن يصليَ ويكذب، أو يحُج ويغِش، أو يصومِ ويأكل أموال الناس بالباطل، أو يدخلَ المسجد ويأكل الربا، أو يسطو على أموال اليتامى، أو يشرب الخمر، أو يحرم ابنته من الميراث، أو يشهد الزور...

أمثال هؤلاء يشوّهون صورة الدين والتدين، ولكن أمرهم يوم القيامة إلى الله عند الحساب والميزان، وهو ما بيّنه القرآن الكريم صراحة، قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٨٥].

---

[٨٥] سورة التوبة: ١٠٢.

الافتراء على العلماء الأموات

من ادعى على أبي الحسن الأشعري أنه يؤول صفة من صفات الله كالوجه واليد والاستواء ونحو ذلك فقد افترى عليه افتراءً عظيماً.

بل الأشعري ـ رحمه الله ـ مصرّح في كتبه النفيسة، التي صنفها بعد رجوعه عن الاعتزال، كـ«الموجز»، و «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» و«الإبانة على أصول الديانة»، أن معتقده الذي يدين الله به هو ما كان عليه السلف الصالح من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسَه أو وصفه به رسوله ﷺ وإثبات ذلك كله من غير كيفٍ ولا تشبيه ولا تعطيل، وأن ذلك لا يصِح تأويله ولا القول بالمجاز فيه، وأن تأويل الاستواء هو مذهب المعتزلة ومن ضاهاهم، وهو أعلم الناس بأقوال المعتزلة؛ لأنه كان أعظم إمام في مذهبهم قبل أن يهديه الله إلى الحق. قال في كتاب «الإبانة» في إثبات الاستواء لله تعالى ما نصه: «إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول إن الله عز وجل مستوٍ على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٨٦]، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[٨٧]. وقد قال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[٨٨]. وقال: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[٨٩]. هذا لفظ أبي الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ في آخر مصنفاته وهو كتاب «الإبانة عن أصول الديانة».

---

[٨٦] سورة طه: ٥.
[٨٧] سورة فاطر: ١٠.
[٨٨] سورة النساء: ١٥٨.
[٨٩] سورة السجدة: ٥.

ـ أما إمام الحرمين أبو المعالي الجُويني، فقد كان في زمانه من أعظم الأئمة القائلين بالتأويل، وقد قرر التأويل وانتصر له في كتابه «الإرشاد»، ولكنه ـ رحمه الله ـ رجَع عن ذلك في رسالته «العقيدة النظامية»، فإنه قال فيها: «والذي نرتضيه رأياً وندين لله به عقداً اتباعُ سلف الأمة، فالأولى الاتّباع وتركُ الابتداع. والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة متبع وهو مستند معظم الشريعة».

ـ وكذلك أبو حامد الغزالي، كان في زمانه من أعظم القائلين بالتأويل، لكنه رجَع عن ذلك، وبيّن أن الحق الذي لا شك فيه هو مذهب السلف، وقد قال في كتابه «إلجام العوام عن علم الكلام»: «اعلم أن الحق الصريح الذي لا مِراءَ فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف، أعني الصحابة والتابعين»، ثم قال: «إن البرهان الكلي على أن الحق في مذهب السلف وحدَه ينكشف بتسليم أربعة أصول مسلَّمة عند كل عاقل:

الأصل الأول: أن النبي ﷺ هو أعرف الخَلق بصلاح أحوال العباد في دينهم ودنياهم.

الأصل الثاني: أنه بلَّغ كلَّ ما أوحي إليه من صلاح العباد في معادهم ومعاشهم، ولم يكتم منه شيئاً.

الأصل الثالث: أن أعرف الناس بمعاني كلام الله وأحراهم بالوقوف على أسراره هم أصحاب رسول الله ﷺ، الذين لازموه وحضروا التنزيل وعرَفوا التأويل.

الأصل الرابع: أن الصحابة، رضي الله عنهم، في طول عصرهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل، ولو كان التأويل بهذا المعنى من الدين لأقبلوا عليه ليلاً نهاراً ودعَوا إليه أولادَهم وأهليهم...».

ثم قال الغزالي: «وبهذه الأصول الأربعة المسلَّمة عند كل مسلم نعلم بالقطع أن الحق ما قالوه، والصواب ما رأوه». (ا.هـ باختصار).

ولقد ذكر غيرُ واحدٍ عن الغزالي أنه رجَع آخِرَ حياته إلى تلاوة كتاب الله وحفظ الأحاديث الصحيحة، والاعتراف بأن الحق هو ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وذكر بعضهم أنه مات وعلى صدره صحيح البخاري، رحمة الله على الجميع.

ـ وكذلك فإن الفخر الرازي كان في زمانه أعظم أئمة التأويل، لكنه رجَع عن ذلك المذهب إلى مذهب السلف، معترفاً بأن سبيل الحق هي اتباع القرآن في صفات الله.

وقد قال في ذلك في كتابه «أقسام اللذات»: «لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن».

أقرأُ في الإثبات ﴿الرَّحمنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوى﴾، و﴿إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ وفي النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٩٠] ومن جرّب مثل تجربتي عرَف مثل معرفتي». وقد بين هذا في أبياته المشهورة التي يقول فيها:

---

[٩٠] سورة الشورى: ١١.

نهايةُ إقدامِ العقــولِ عِقـــــــالُ وغايةُ سَعيِ العالَمين ضلالُ
وأرواحُنا في وحشةٍ من جسومنا وحاصلُ دنيانا أذىً ووَبـــالُ
ولم نستفذ من بحثنا طولَ عمرِنا سوى أنْ جمعنا فيه قِيل وقالوا

ـ كذلك الباقلاني، فقد كان في زمانه من أئمة التأويل، لكنه رجَع عن ذلك المذهب إلى مذهب السلف، وذلك في كتابه «التمهيد»، الذي نرى فيه تصريحه بأن صفة الوجه واليد من صفات المعاني، كالحياة والعلم والقدرة والإرادة، كما هو في قول أبي الحسن الأشعري. رحمة الله على الجميع رحمة واسعة.

ألا فليعلم المُدَّعُون على هؤلاء في أشعريتهم أن «جورج» إذا دخل الإسلام صار محرَّماً علينا بُهتانُه، والخير كل الخير أن تتحدث عنه الآن، لا أن ننبش قبره لتأكله الغِربان، وهذا من الجهل بالإسلام، والحمد لله الحنان المنان.

وربك يخلق ما يشاء ويختار

من اختيار الله سبحانه وتعالى المتعلق بالبقاع: اختياره مكة على سائر البلاد، واختياره عرفة لوقوف الحجيج بها يوم التاسع من ذي الحجة، كما اختار تبارك وتعالى المدينة المنورة مهاجَراً لسيدنا محمد ﷺ واختار بيت المقدس لمَسراه.

- ومن اختياره تعالى في الأوقات والأزمنة: اختياره شهرَ رمضان على سائر شهور العام، واختياره الليالي العشْر الأخيرة منه على سائر لياليه، واختياره ليلة القدر منها وتفضيلها على ألف شهر. كما اختار سبحانه الأيام العشَرة الأُوَل من شهر ذي الحجة، واختار يوم عرفة من بين تلك الأيام، كما اختار يوم الجمعة عيداً أعظم من يوم الفطر ويوم الأضحى، كما ورد في الحديث[٩١].

- ومن اختياره في الملائكة أن اصطفى منهم رسلاً يبلّغون وحيَه إلى أنبيائه ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكةِ رُسُلاً...﴾[٩٢].

- ومن اختياره- سبحانه - في الجن أن اختار منهم مؤمنين وجعل مآلهم وعاقبتهم مستقَر رحمته ﴿وأنّا لَمّا سَمِعْنا الهُدى آمَنّا بِهِ ۞ فَمِنْ يُؤمِنْ بِرَبِهِ فَلا يَخافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً﴾[٩٣].

- ومن اصطفائه من البشر أن اختار منهم أنبياء ﴿إنَّ اللهَ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحاً

---

[٩١] صحيح سنن ابن ماجه ٢٧٨/١ تحقيق الألباني.
[٩٢] سورة الحج: ٧٥.
[٩٣] سورة الجن: ١٣، ١٧.

وآلَ إبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلى العَالَمِيْنَ﴾[٩٤].

كما اصطفى من الأنبياء رسلاً ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[٩٥]. واصطفى منهم نبينا وسيدنا محمداً ﷺ، فهو خيرُهم وأفضلهم. يقول ﷺ: ﴿فُضِّلتُ على الأنْبِياءِ بِستٍّ: أُعطِيتُ جوامعَ الكلِم، ونُصِرت بالرُّعبِ، وأحِلَّتْ ليَ الغنائمُ، وجُعِلتْ ليَ الأرضُ طَهوراً ومسجداً، وأُرسِلتُ إلى الخَلقِ كافّةً، وخُتِم بي النَّبيّونَ﴾[٩٦].

كما أنّ الله – تعالى - اصطفى أمَّتَهُ ﷺ من بين سائر الأمم، وفضّلها عليها بفضائلَ ليست لغيرها، ومن ذلك التفضيل أن جعلهم أكثرَ الأمم التي مضت أجوراً مع أنهم أقلُّ عملاً. وقد دل على ذلك ما رواه ابن عمر، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، وهو قائم على المِنبر، يقول: ﴿إنَّما بَقاؤُكُمْ فِيما سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ كما بيْنَ صَلاةِ العَصْرِ إلى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أهْلُ التَّوْراةِ التَّوْراةَ، فَعَمِلُوا حتَّى إذا انْتَصَفَ النَّهارُ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيراطًا قِيراطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أهْلُ الإنْجِيلِ الإنْجِيلَ، فَعَمِلُوا إلى صَلاةِ العَصْرِ، ثُمَّ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيراطًا قِيراطًا، ثُمَّ أُوتِينا القُرْآنَ، فَعَمِلْنا إلى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأُعْطِينا قِيراطَيْنِ قِيراطَيْنِ، فقالَ: أهْلُ الكِتابَيْنِ: أيْ رَبَّنا، أعْطَيْتَ هَؤُلاءِ قِيراطَيْنِ قِيراطَيْنِ، وأَعْطَيْتَنا قِيراطًا قِيراطًا، ونَحْنُ كُنَّا أكْثَرَ عَمَلًا؟ قالَ: قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: هلْ ظَلَمْتُكُمْ مِن أجْرِكُمْ مِن شيءٍ؟ قالوا: لا، قالَ:

---

[٩٤] سورة آل عمران /٢٣٠.

[٩٥] سورة الحج: ٧٥.

[٩٦] صحيح مسلم ٣٧١/١ برقم ٥٢٣.

فَهو فَضْلِي أُوتِيهِ مَن أشاءُ﴾[٩٧].

ومن ذلك التفضيلِ والتفضيلِ لهذه الأمة أن جعلهم يسبِقون غيرهم من سائر الأمم يومَ القيامة مع تأخرهم عنها في الدنيا، كما هداهم ليوم الجمعة الذي ضل عنه اليهود والنصارى قبلهم، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿نحنُ الآخِرونَ السَّابقونَ يومَ القِيامةِ؛ أوتوا الكِتابَ مِن قَبْلنا، وأوتيناه مِن بَعدِهِم، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه، فهدانا الله له...﴾[٩٨].

كما أن أمته أول من يدخل الجنة، لِما ثبت في رواية للحديث المتقدم عند مسلم: ﴿نحن الآخِرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول مَن يدخل الجنة...﴾[٩٩].

وهم نصفُ أهلِه الجنة، كما ثبت من حديث ابن مسعود وعِمران بن حُصين وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين[١٠٠].

ـ واختار ربنا، سبحانه وتعالى من أمة محمد ﷺ ﴿سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب، وجوهُهم على صورة القمر ليلة البدر﴾، كما ثبت من حديث سهل بن سعد[١٠١]، بل قال ﷺ: ﴿... فاستزدت ربي عز وجل، فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً﴾[١٠٢].

---

[٩٧] صحيح البخاري برقم ٥٥٧.
[٩٨] صحيح البخاري، برقم ٨٨٧٦. فتح الباري: ٣٥٤/٢.
[٩٩] صحيح مسلم: ٥٨٥/٢، برقم ٨٥٥.
[١٠٠] صحيح البخاري، برقم ٦٥٢٨، فتح الباري ٣٧٨/١١. وسنن الترمذي ٣٢٢/٥، برقم ٣١٦٨. وصحيح مسلم برقم ٢٢٢ ٢٠١/١.
[١٠١] صحيح البخاري برقم ٦٥٤٣، فتح الباري ٤٠٦/١١.
[١٠٢] سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٧٣/٤).

ومن جملة تفضيله – سبحانه - لهذه الأمة ما ثبت عند مسلم وغيره من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن ﷺ أنه قال: ﴿لا يموتُ رَجُلٌ مُسلِمٌ إلا أدخَلَ اللهُ مكانَه النَّارَ يَهودِيّاً أو نَصْرانِيّاً﴾، وفي رواية: ﴿إذا كانَ يومُ القيامةِ دفَعَ اللهُ إلى كلِّ مُسلِمٍ يَهودِيّاً أو نَصرانِيّاً، فيقول: هذا فِكاكُكَ مِنَ النّارِ﴾[١٠٣].

إن أمة محمد ﷺ مشهود لها بالخيرية؛ لأنها أخرِجت للناس لهدايتهم، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بفهم عميق سليم؛ لأن إنكار المنكر، إذا كان سيؤدي إلى مفسدة أكثر من مصلحة، كان ذلك الإنكار محرَّماً[١٠٤].

وإذا كانت الأمة الإسلامية قد وُصفت بالخيرية في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾[١٠٥]، فإن الله تبارك وتعالى قد اصطفى بعض أمة الدعوة ليكونوا من أمة الإجابة، فوسمهم – سبحانه - بالفلاح: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٠٦].

---

[١٠٣] صحيح مسلم، برقم ٢٧٦٧.
[١٠٤] فتاوى ابن تيمية، ج٢٨، ص٢٩.
[١٠٥] سورة آل عمران: ١١٠.
[١٠٦] سورة آل عِمران: ١٠٤.

عِبرةٌ من الماضي

كان المؤمنون قد افترقوا فرقتين: فِرقة مع علي بن أبي طالب، وفرقة مع معاوية، وقد وقع الأمر كما أخبر به النبي ﷺ، وكما ثبت عنه أيضاً في الصحيح أنه قال عن الحسن رضي الله عنه: ﴿إنَّ ابْنِي هذا سَيِّدٌ، ولَعَلَّ اللَّهَ أنْ يُصْلِحَ به بيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ﴾[١٠٧].

فقد مدح الحسن، وأثنى عليه بإصلاح الله به بين طائفتين: أصحاب علي، وأصحاب معاوية... وإذا كنا مستمسكين بالشريعة الإسلامية حقاً فلنقرأ معاً الآيتين: التاسعة والعاشرة من سورة الحجرات، كي نبادر إلى التطبيق.

قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١٠٨].

هذا هو حكم الله بين المقتتلين من المؤمنين: لقد أخبر الله بأنهم إخوة، وسماهم مؤمنين، وأمر بالإصلاح بينهم على أساس من العدل والإحسان، فإن نفذنا أمر الله هذا فلنا به رجاء وحسن ظن أن يرحمنا. فإن ثبت على إحدى الطائفتين أنها اعتدت على الأخرى بإتلاف شيء من الأموال والأنفس، كان عليها ضمان ما أتلفته تؤديه بإحسان، وإن تعذر أن تضمن

---

[١٠٧] صحيح البخاري، برقم ٢٧٠٤.
[١٠٨] سورة الحجرات: ٩، ١٠.

واحدة للأخرى، فيجوز أن تتحمل ذلك المبلغ دول عدة تؤديه من أجل إصلاح ذات البين.

ومن كان من الطائفتين يظن أنه مظلوم مبغي عليه، فإذا صبر وعفا أعزه الله ونصره، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿...وما زادَ اللَّهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا، وما تَواضَعَ أحَدٌ لِلَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ﴾[١٠٩].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[١١٠].

أما الباغي الظالم فينتقم الله منه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١١١]، وفي الحديث: ﴿ما مِنْ ذَنْبٍ أحْرى أنْ يُعجِّلَ لِصاحِبِهِ العقوبةَ في الدُّنيا مِنَ البَغيِ..﴾[١١٢].

فعلى الباغي الظالم أن يتقي الله ويتوب، وعلى المظلوم أن يصبر، وله البشرى من الله. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصّابِرِيْنَ﴾[١١٣].

قال عمرو بن أوس: «هم الذين لا يظلمون إذا ظلموا»، وقد قال الله تعالى في حق عدوهم : ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾[١١٤].

---

[١٠٩] صحيح مسلم، برقم ٢٥٨٨.
[١١٠] سورة الشورى: ٤٢، ٤٣.
[١١١] سورة يونس: ٢٣.
[١١٢] سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، ٦٦٤/٤،٦٦٥، قال: حديث حسن صحيح.
[١١٣] سورة البقرة: ١٥٥.
[١١٤] سورة آل عمران :١٢٠.

وقال يوسف، عليه السلام، لما فعل به إخوته ما فعلوا، فصبر واتقى حتى نصره الله، ودخلوا عليه وهو في عزة:

﴿وَقَالُوا أَئِنَّكَ لَأنتَ يُوسفُ قَالَ أنا يُوسُفُ وَهَذا أَخي قَدْ مَنّ اللهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضيعُ أَجْرَ المُحْسِنِيْنَ﴾[١١٥].

فمن اتقى الله من هؤلاء وغيرهم بصدق وعدل ولم يتعدّ حدود الله، وصبر على أذى الآخَر وظُلمه، لم يضره كيد الآخر بل ينصره الله عليه.

---

[١١٥] سورة يوسف: ٩٠.

حضــارتــان

في دنيانا حضارتان:

١ـ حضارة سوق السلع المادية.

٢ـ حضارة سوق القيم الإنسانية.

ـ فحضارة سوق السلع المادية قامت على فتح أسواق السلع المادية من طرق الطغيان على حقوق الإنسان.

ـ أما حضارة سوق القيم الإنسانية فإنها قامت على فتح القلوب لأسواقٍ قيمها الإنسانية، وذلك من طريق إشاعة العدل وحقوق الإنسان في ما بين الإنسان والأمم والشعوب على مختلف الأعراق والأجناس والأوطان والأديان. وشتان ما بين الطرفين!

- شتان بين دعاة البشر وبين رعاة البقر.

- شتان بين دعوة عالمية إنسانية إيمانية وبين دعوة نفعية مصلحية اقتصادية تناحرية.

- شتان بين دعوة فيها خطاب للعقل، وبين دعوة فيها خطاب للبطن والفرج.

- شتان بين دعوة تدعو إلى الإصلاح وبين دعوة تدعو إلى الحرب والخلاف.

والمشكلة أننا نعرف هذا، ولكننا أمة غثائية تتمثل اليوم بقول أحدهم:

يُريك البشاشة عند اللِّقا ويَبريك في السّر برْيَ القلمْ

ومادام الاثنان في تحدٍّ مقيت: واحد يبني وآخَر يهدم، فإن التساؤل قائم:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامَه إذا كنتَ تبنيه وغيرك يهدم؟

محبة الرسول ﷺ ومكانته في القلوب

إن الآيات القرآنية الكريمة التي اقترن فيها اسم النبي ﷺ باسم الله تعالى ومحبته كثيرة، وقد أشار الله إلى ذلك في معرِض المن على رسوله وأفضاله عليه برفع ذكره. فقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۞ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[١١٦]، فذهب المفسرون إلى أن معنى رفع الذكر: هو ذكر اسمه مع اسم الله تعالى.

وحبُّ الله، جل وعلا، ورسوله، عليه أفضل الصلاة والسلام، فرضٌ على المؤمن، فهو أساس الإيمان بل هو الإيمان نفسُه.

وتأتي محبة الرسول ﷺ بعد محبة الله تبارك وتعالى. وهذه المحبة مقرونة دائماً بمحبة الله حيثما وردت في القرآن الكريم أو أحاديث الرسول ﷺ.

وجاءت الأحاديث تؤكد هذا المعنى وتجعل محبة الرسول ﷺ فرضاً من الفرائض، وتجعل هذه المحبة من الإيمان، فعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: ﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ماله وولده ووالده والناس أجمعين﴾[١١٧].

وعن أنس، رضي الله تعالى عنه، أن الرسول ﷺ قال: ﴿ثَلَاثٌ؛ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ

---

[١١٦] سورة الشرح: ١-٤.
[١١٧] متفق عليه.

يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ﴾[١١٨].

وحب الله ورسوله مقدم على كل شيء، وقد ندد القرآن الكريم بالذين يقدمون أي محبة على محبة الله ورسوله، فقال عز وجل: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١١٩].

وبقدْر ما أوجب الله سبحانه وتعالى من محبة النبي ﷺ جعل ثواب هذه المحبة عظيماً... ذلك الثواب هو الإيمان والجنة.

عن أنس، رضي الله عنه، قال: ﴿جاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ متى قيامُ السَّاعةِ؟ فقام النَّبيُّ ﷺ إلى الصَّلاةِ، فلمَّا قضى الصَّلاةَ قال: «أينَ السَّائلُ عنِ القيامةِ»؟ قال الرَّجُلُ: أنا يا رسولَ اللهِ. قال: «ما أعدَدْتَ لها»؟ قال : يا رسولَ اللهِ ما أعدَدْتُ لها كبيرَ صلاةٍ ولا صومٍ إلَّا أنِّي أُحِبُّ اللهَ ورسولَه، فقال النَّبيُّ ﷺ: «المرءُ مع مَن أحَبَّ وأنتَ مع مَن أحبَبْتَ»، فقال أنَسٌ: ما رأَيْتُ المُسلِمينَ فرِحوا بشيءٍ بعدَ الإسلامِ مِثْلَ فرَحِهم بها﴾[١٢٠].

---

[١١٨] صحيح البخاري، برقم ١٦. وصحيح مسلم، برقم ٤٣.
[١١٩] سورة التوبة: ٢٤.
[١٢٠] صحيح ابن حبان، برقم ١٤٧. وهو عند البخاري ومسلم بزيادة واختلاف يسير.

وقد ورد في الحديث الذي يرويه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن حب الله ورسوله مانعٌ من الطرد من رحمة الله رغم ارتكاب المعاصي.

ولم يقف الأمر عند حد وجوب المحبة، بل تعداه إلى المبالغة في حبه، قال المولى عز وجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾(١٢١). قال ابن عباس في تفسير «تعزروه»؛ أي تُجلّوه. وقال المبرّد: أي تبالغوا في محبته.

وقد اختلف العلماء في تفسير معنى محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، ولكن جُل التفسيرات تلتقي عند معنى واحد. قال سفيان: المحبة: اتباع رسول الله ﷺ، كأنه أشار إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(١٢٢)، وقال بعضهم: محبة الرسول ﷺ هي اعتقاد نصرته والدفاع عن سنته والانقياد لها ومهابة مخالفته.

ثم نأتي إلى الأمور التي أمر الله بها عباده في مجال طاعة الرسول ﷺ ومحبته، ومنها الصلاة والسلام عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١٢٣). وهي فرض ـ على الجملة ـ وواجبة أو مستحبة في أربعين موضعاً، كما أحصاها ابن قيم الجوزية(١٢٤)، ويذكر ابن القيم أيضاً أربعين فائدةً وثمرة يجيها

---

١٢١ سورة الفتح: ٨، ٩.
١٢٢ سورة آل عمران: ٣١.
١٢٣ سورة الأحزاب: ٥٦.
١٢٤ جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام.

المرء بالصلاة على النبي ﷺ.

وعن أبي هريرة وأبي بكر الصديق وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿من صلَّى عليَّ في كتابٍ لم تزلِ الملائكة تستغفِرُ له ما دام اسمي في ذلك الكتابِ﴾[١٢٥].

إن حُبّ رسول الله ﷺ ينبع في القلوب؛ لِما له، عليه أفضل الصلاة والسلام، من مكانة عظيمة ودرجة رفيعة يوضحها لنا ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «ما خلق الله تعالى وما ذرأ نفساً هي أكرم من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١٢٦]. وقال ابن عقيل: أعظم من قول الرب جل وعلا لنبيه موسى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[١٢٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[١٢٨].

ويقول ابن الجوزي: وقد قرن الحقُّ، سبحانه وتعالى، اسمَ نبينا محمدٍ ﷺ باسمه، عز وجل، عند ذكر الطاعة والمعصية. فقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[١٢٩].

اللهم ارزقنا محبتك ومحبة نبيك محمدٍ ﷺ، إنك سميع قريب مجيب الدعوات. والحمد لله رب العالمين.

---

[١٢٥] السيوطي، تدريب الراوي، ١٩/٢. خلاصة حكم المحدث: ضعيف. والمشهور أن الحديث الضعيف في فضائل الأعمال يؤخذ به.

[١٢٦] سورة الحجر: ٧٢.

[١٢٧] سورة طه: ٤١.

[١٢٨] سورة الفتح: ١٠.

[١٢٩] سورة النساء: ٥٩.

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[١٣٠]

لقد أكثر الناس القول في اعتبار المناسبات في الإسلام وعدم اعتبارها، ووقع فيها إفراط وتفريط... وانطلاقاً من كلام شيخ الإسلام، رحمه الله تعالى، نقدم هذه النبذة في هذه المسألة، وهي أنه بالتأمل في الشرع وأحداث الإسلام عامة وخاصة؛ أي في عموم الأمم وخصوص هذه الأمة نجد المناسبات لا تخلو من عظة وذكرى تتجدد مع تجدد الأيام والأجيال، وتعود على الفرد والجماعة بالتزود منها، ومن هذه المناسبات يوم الجمعة، وهو عيد المسلمين وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى[١٣١]. وقد عني الإسلام بيوم الجمعة في الحث على القراءة المنوه بها في صلاة الفجر، وهي قراءة سورتي «السجدة »و«الإنسان» لمناسبة خلق آدم ـ عليه السلام ـ في يوم الجمعة، ليتذكر الإنسان في هذا اليوم ـ وهو يوم الجمعة ـ مبدأ خلق أبيه آدم ومبدأ خلق عموم الناس، ويتذكر مصيره ومنتهاه ليرى ما هو عليه من دعوة الرسول ﷺ، وهل هو شاكر أم كفور؟ ومضمون ذلك كله أن الحكمة في قراءة السورتين في فجر الجمعة أن يوم الجمعة هو يوم آدم، عليه السلام، فيه خُلِق، وفيه نفخ فيه الروح، وفيه أسكن الجنة وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه تقوم الساعة... وقد حث الإسلام في هذا اليوم خاصة بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وقراءة سورة الكهف...

---

[١٣٠] سورة إبراهيم: ٥.

[١٣١] صحيح سنن ابن ماجه، ١٧٨/١ و١٨١.

نعم، أيها الأحباب. إذا كان يوم الجمعة يوم آدم، فإن يوم الإثنين هو يوم سيدنا محمد ﷺ؛ أي فيه ولد وفيه أنزل عليه، وفيه هاجر من مكة إلى المدينة، وفيه وصل إلى المدينة المنورة في الهجرة، وفيه توفي، وفيه كان بدء الوحي عليه، وفيه خلق الله الشجر، وفيه رفع الله الحجر الأسود، وفيه وفي يوم الخميس تعرض الأعمال.

إن اعتبار المناسبات أمر مهمٌ في كثير من الأمور، كما في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[١٣٢]، إن جميع الشهور من حيث الزمنُ سواءٌ، ولكن لمناسبة بدء نزول القرآن في هذا الشهر جعله الله محلاً للصوم، وأكرم فيه الأمة كلها، بل العالم كله؛ فتتزين فيه الجنة، وتصفّد فيه مردة الشياطين، وتتضاعف فيه الأعمال.

وكذلك الليلة منه، التي كان فيها البدء، اختصها تعالى من بقية ليالي الشهر، وهي ليلة القدْر جعلها الله تعالى خيراً من ألف شهر[١٣٣].

لقد جاء عنه، ﷺ أنه سئل عن صيام يوم الإثنين، فقال: ﴿ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ﴾[١٣٤]، فإضافة إلى أنه كان بَدء الوحي عليه ﷺ في يوم الإثنين، وأنه يوم وصوله إلى المدينة في الهجرة، فقد كان يوم وفاته ﷺ، لذلك كله احتفى به ﷺ.

ـ في عام مولده ﷺ وفي يوم مولده وقعت مظاهر كونية، ابتداءً من:

---

[١٣٢] سورة البقرة: ١٨٥.
[١٣٣] سورة القدر: ٣.
[١٣٤] صحيح مسلم، برقم ١١٦٢.

١ ـ وقعة أبرهة وإهلاك جيشه.

٢ ـ ثم ظهور نجم نبي الختان.

٤ ـ وحدثت أمه وهي حامل به، في ما قيل، أنها حين حملت به ﷺ، أتيت في المنام فقيل لها: «إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد. ثم سميه محمداً».
وذكر ابن هشام أنها رأت حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأت به قصور بصرى من أرض الشام.

وذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت وهو غلام سمع يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمه بيثرب: يا معشر يهود. حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا: ويلك مالك؟ قال: طلع الليلةَ نجمُ أحمد الذي ولد به.

وساق ابن كثير في «تاريخه»، والبيهقي في «خصائصه»، وابن هشام في «سيرته» أخباراً متعددة مما شهده العالم ليلة مولده ﷺ، فعن عثمان بن أبي العاص أن أمه حضرت مولده ﷺ فقالت: فما شيء أنظر إليه في البيت إلا نور، وإني أنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول: ليقعن علي.

ومن المظاهر الكونية التي حدثت ما ذكره ابن كثير من انكفاء الأصنام على وجوهها، وارتجاس إيوان كسرى وسقوط بعض شرفاته، وخمود نار فارس ولم تخمد قبلها، وأن بحيرة ساوة غاضت، فكان في ذلك إرهاصٌ بتكسير الأصنام وانتشار الإسلام ودخول الفرس في الإسلام.

ـ إن الحفاوة بيوم ميلاده ﷺ أمر مشروع، فقد كان ﷺ يحتفي به، وذلك بصيامه، وهو العمل المشروع الذي يعبر به المسلم عن شعوره فيه، والعبادة الخالصة التي يشكر الله تعالى بها على هذه النعمة العظيمة ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾: وأيام الله نعمه. ويوم ميلاد المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه نعمة عظمى.

ومما لا شك فيه ولا ريب أن العالم الإسلامي لم يشهد حدثين أعظم من هذين الحدثين: مولد سيد الخلق ﷺ، وبدء إنزال أفضل الكتب. لقد احتفى سيدنا محمد ﷺ بيوم ميلاده فصامه، وعلى المسلمين أن يحتفوا به فيصوموه، كما يصومون شهر رمضان، لمناسبة بدء نزول القرآن فيه...

ـ إن شكران المسلمين هذه النعمة العظيمة فيه أجر عظيم، لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله ﷺ، ولهذا قيل لأحمد: إن بعض الأمراء ينفق على مصحفه ألف دينار، فقال: دعه، فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب، مع أن مذهبه أن زخرفة المصاحف مكروهة، قال أحمد: إن مثل هؤلاء إن لم يفعلوا هذا اعتاضوا عنه الفساد الذي لا صلاح فيه، مثل أن ينفقها في كتب الأسمار أو حكمة فارس والروم ...

ـ ومن المناسبات يوم عاشوراء. لقد كان له تاريخ قديم، وكانت العرب تعظمه في الجاهلية وتكسو فيه الكعبة. ولما قدم ﷺ المدينة وجد اليهود يصومونه، فقال لهم: لِمَ تصومونه؟ قالوا: كان يوماً نجّى الله فيه موسى

من فرعون فصامه شكراً لله فصمناه. فقال ﷺ: نحن أحق بموسى منكم، فصامه وأمر الناس بصيامه.

إنها مناسبة عظمى: نجاة نبي الله موسى من عدو الله فرعون، نُصرة الحق على الباطل، ونَصرُ جند الله، وإهلاك جند الشيطان.

لقد كان صيام يوم عاشوراء فرضاً حتى نسخ بفرض رمضان، وهكذا مع عظم مناسبته من إعلاء كلمة الله ونُصرة رسوله، كان ابتهاج موسى عليه السلام به فصامه شكراً لله. وكذلك سيدنا محمد ﷺ. وهذا هو الطريق السليم والسنة النبوية الكريمة...

ـ وهكذا النحر الذي نستنبط منه: قوة الإيمان، وسنة الالتزام.

ـ وهكذا صلح الحديبية، فقد كان فيه انتزاع اعتراف قريش بالكيان الإسلامي ماثلاً في الصلح والعهد الذي وثق بين الطرفين. وقد سماه الله فتحاً كما قال تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[١٣٥] وقد نزلت سورة الفتح في عودته ﷺ من صلح الحديبية.

ـ وكذلك يوم بدر كان يوم الفرقان، فرق الله فيه بين الحق والباطل، ونصر فيه المسلمين المتماسكين غير المختلفين على السلطة والثروة، مع قلتهم، على المشركين على رغم كثرتهم وقوة سلاحهم.

---

[١٣٥] سورة الفتح: ٢٧.

ـ وكذلك يوم الفتح، فتح مكة وتحطيم الأصنام والقضاء نهائياً على دولة الشرك في البلاد العربية...

ـ وكذلك وصوله ﷺ إلى المدينة، فقد كان بداية حياة جديدة وبناء كيان أمة جديدة...

كل ذلك لم يجعل الإسلام له عملاً خاصاً به، والناس تأخذهم عاطفة الذكرى ويشدهم الحنين إلى الماضي، وتتراءى لهم صفحات التاريخ، فهل يقفون صماً بكماً؟ أم ينطِقون بكلمة تعبير؟

قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾، وأيام الله نعمه، والتذكير بالنعمة شكر المنعم المتفضل بها، وشكر الله لا يصِح أن يكون باللهو وبما لا يرضي الله ولا رسوله، وإنما يكون الشكر في مثل هذه المناسبات العظيمة بالعبادة من صيام أو صدقة أو نسك، ولا يمكن أن يقال فيها بما يقال في المصالح المرسلة حيث كانت.

إننا نعلم أن المولد ليس سنة نبوية ولا طريقاً سلفياً ولا عمل القرون المشهود لها بالخير. وإنما نريد مقابلة الفكرة بالفكرة، والذكريات بالذكرى؛ لنجمع شباب المسلمين على سيرة سيد المرسلين ﷺ، وتكون ذكرى المولد ضمن عموم قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٣٦]. ومن قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ﴾[١٣٧].

---

[١٣٦] سورة الذاريات: ٥٥.
[١٣٧] سورة الحشر: ٢.

إننا نريد أن نقُصّ على أجيالنا بعد هذه القرون أهم أحداث الإسلام، لاستخلاص العظات والدروس.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وبدلاً من الموقف السلبي عند التشديد في النكير، يكون عملاً إيجابياً في حكمة وتوجيه لما هو أولى بحسب المستطاع، وبالله التوفيق»[١٣٨].

ونحن مع شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في أن التشديد في النكير على المحتفلين بذكرى ميلاد رسول الله ﷺ، لما فيه من المخالفات الشرعية، ولكن لا بد من اتخاذ عمل إيجابي ينم على حكمة وتوجيه سليم، كأن نتدارس سيرته العطرة ﷺ في المدارس والمساجد والجامعات، ونذكّر المسلمين باستحباب صوم يوم ميلاده، كما كان ﷺ يحتفي بصومه، وكما قال سماحة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ في من فتاواه[١٣٩].

هذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

[١٣٨] الأضواء ٦٦٣/٨ سطر ٤.

[١٣٩] مجموع فتاوى ابن باز، ص ٢٤١.

زوجــات النبــي ﷺ

هن ثلاثَ عشْرةَ، بنى بإحدى عشرة، واثنتان لم يدخل بهما ﷺ:

ـ ست عربيات قريشيات: خديجة بنت خويلد، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وأم سلمة هند بنت أبي أمية، وسودة بنت زمعة التي كانت كبيرة تزوجها ﷺ لتكون ربة بيته، وهو يزيد على الثالثة والخمسين من عمره.

ـ وست عربيات غير قريشيات: زينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة، وجويرية بنت الحارث، وأسماء بنت النعمان الكندية، وعمرة بنت يزيد الكلابية.

ـ ومن غير العربيات: صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير كان أبوها مِلِك اليهود. أما الاثنتان اللتان لم يدخل بهما ﷺ فهما:

ـ أسماء بنت النعمان الكِنْدية، وجد بها بياضاً فمتّعها وردّها إلى أهلها.

ـ وعمرة بنت يزيد الكلابية، استعاذت من رسول الله فردّها إلى أهلها...

إن الله عز وجل خص النبي ﷺ بشيء دون المؤمنين، وهو أن أباح له هذه الزوجات، في الوقت الذي لم يوجب عليه أن يستبدل بهن من زوجات ولا يزيد عليهن، ولا يبدل واحدة بأخرى: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إلا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾[١٤٠]

---

[١٤٠] سورة الأحزاب: ٥٢.

والسر في ذلك أن زوجات النبي ﷺ لهن مكانة خاصة وحرمة مميزة، فقد عدهن الله «أمهات» للمؤمنين جميعاً، فقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(١٤١).

ومن فروع هذه الأمومة الروحية للمؤمنين أن حرّم الله عليهن الزواج بعد رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾(١٤٢). ومعنى هذا أن اللتين ردهما ﷺ ستظلان محرومتين طوال حياتهما من الزواج بغيره، مع حرمانهما من الانتساب إلى بيت النبوة...

أما الغاية من هذا التعدد فلحِكم ومصالح، وليربط الناس بهذا الدين، ولا سيما أن للمصاهرة وللعصبية قيمةَ كبيرة في بلاد العرب، فقد أراد عليه الصلاة والسلام أن يجمع هؤلاء ويرغّبهم في الإسلام ويربطهم بهذا الدين، ويحل مشكلات اجتماعية وإنسانية كثيرة بهذا الزواج، ثم لتكون نساؤه ﷺ معلمات الأمة في الأمور العائلية والنسائية يروين عنه حياته البيتية للناس حتى أخصِّ الخصائص؛ لأنه ليس في حياته ﷺ أسرارٌ تَخفى على الناس من أجل تعليم الأمة وإرشادها.

١ ـ لقد أراد توثيق الصلة بينه وبين صاحبه أبي بكر، فتزوج ابنته عائشة، وكانت صغيرة لا تُشتهى، ولكنْ تطييباً لنفس أبي بكر.

---

١٤١ سورة الأحزاب: ٦.
١٤٢ سورة الأحزاب: ٥٣.

٢ ـ ثم رأى ﷺ أن يكون عمر بموازاة أبي بكر؛ لأنهما وزيراه، فتزوج حفصة بنت عمر.

٣ ـ وكان من قبل قد زوَّج علي بن أبي طالب ابنته فاطمة، وزوَّج عثمان بن عفان ابنته رُقية ثم ابنته أم كلثوم.

٤ ـ وتزوج ﷺ أم سلمة ثيّباً، وقد أوذيت هي وزوجها السابق من أجل الإسلام، وكانت تظن أنه ليس هناك مَن هو أفضل من أبي سلمة، ولكن الله عز وجل عوّضها خيراً منه وهو محمد رسول الله ﷺ.

٥ ـ وتزوج ﷺ جويرية بنت الحارث ليُسلم قومها ويرغّبهم في دين الله، وذلك أن الصحابة بعد أن أخذوا السبايا في غزوة بني المصطلق، وجويرية منهم، علموا أن النبي ﷺ قد تزوجها، فأعتقوا من عندهم من إماء وسبايا؛ لأنهم أصبحوا أصهار النبي ﷺ، ومثلهم لا يسترقون.

٦ ـ وتزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان رجاءَ أن يكون لهذا الزواج أثرٌ طيب في نفس أبي سفيان قد يكف من عداوته، ويخفف من غُلَوائه في محاربة النبي ﷺ، بعد أن ربطت بينهما هذه المصاهرة الجديدة... وهكذا نرى حكمة في كل زواج تزوجه رسول الله ﷺ. ولا شك أن المسلم يرى قدوته الصالحة في رسول الله ﷺ إذا كان زوجاً لامرأة بِكر، أو ثيِّب، أو تكبُره في السن، أو تصغره، أو كانت جميلة، أو غير جميلة، أو كانت عربية، أو غير عربية، مسيحية أو يهودية، أو كانت صديقة أو بنت عدو له.

التشريـع الإسلامـي

إن أي تشريع لا يضمن استمراره ما لم تظهر النزعة الإنسانية فيه واضحةً جليةً. والتشريع الإسلامي لم يسبِقه تشريع آخر في وفرة النزعة الإنسانية فيه:

ـ نزل القرآن الكريم بقوله تعالى للناس: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[١٤٣]، ويقول لهم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١٤٤].

ـ إن الرسول الكريم ﷺ يوم وقف في عرفات قال: ﴿يا أيُّها النَّاسُ ألا إنَّ ربَّكم واحدٌ وإنَّ أباكم واحدٌ ﴾[١٤٥].

ـ إن الرسول الكريم ﷺ بعدما قال أبو ذر لبلال: «يا ابن السوداء» وقف وقف أمام أبي ذر يحاكمه قائلاً: ﴿يا أبا ذر، أعيّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية﴾[١٤٦].

ـ قدِمت قافلة إلى المدينة، ووقفت لتبيت خارجها، وفيها التجار ومعهم النساء والأطفال. فنظر عمر، وكان أميراً للمؤمنين، من سيحرس القافلة؟ فقال لعبد الرحمن بن عوف، وكان أغنى رجل في المدينة: هل لك أن تحرسهم الليلة معي؟

فباتا يحرسان ويصليّان كما كتب الله لهما، فسمع عمر بكاء صبي، فتوجّه

---

[١٤٣] سورة الإسراء: ٧٠.
[١٤٤] سورة الحجرات: ١٣.
[١٤٥] الصحيح المسند، للوادعي، برقم ١٥٣٦.
[١٤٦] صحيح البخاري، برقم ٣٠.

نحوه وقال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيك! ثم عاد فسمع البكاء مرة ثانية، فعاد إلى أمه وقال: اتقي الله وأحسني إلى صبيك! ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال: ويحك إني لأراكِ أمَّ سَوء! مالي لا أرى ابنك يقرّ منذ الليلة؟ فقالت، وهي لا تعرف أنه أمير المؤمنين: يا عبد الله لقد أبرمتني منذ الليلة، إني أُريغه عن اللبن ليُفطم فيأبى. فقال: لِمَ؟ فقالت: لأن عمر لا يفرِض إلا للفطيم، قال: وكم له؟ قالت كذا وكذا شهراً. قال: ويحك لا تعجليه. فصلى عمر الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء عليه، فلما سلّم قال: يا بؤساً لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين! ثم أمر منادياً أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام.

إننا معشرَ المسلمين لا نُحب الحروب

ـ ولا نعشق ما فيها من دمار وخراب. إننا نوثر الاستقرار بين الأهل والأحبة. لا بأس بالسلام مع صَون الحقوق واحترام العقيدة.

أما القتال فيكون دفاعاً عن الحرمات والعقائد. وما العمل إذا كنا نتعامل مع قوم لا يرضَون عنا حتى ندعَ ما لدينا وندخلَ في مِلتهم؟

إن القتال هنا لا بد منه، ولن نُسأل عنه، فالمسؤول عنه غيرنا ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[١٤٧]. هذا حكمٌ خالدٌ إلى قيام الساعة، وكل ما ورد في القرآن الكريم من ألفه إلى يائه يتفق مع هذا الحكم.

ـ إن الإسلام أبعد دين عن الإكراه. وأتباعُه أبعد الناس عن كراهية الآخرين، وذلك إذا كانت نفوسهم سهلة، وسرائرهم نقية ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسانِ إلّا الإِحْسانُ﴾[١٤٨].

- إنه يمكن أن تقوم شركة تجارية بين مسلم وغير مسلم، أساسُها الأمانة والصدق. ويمكن أن تتكون أسرة من مسلم وأخرى غير مسلمة، على قاعدة من الوُد المتبادل والرحمة.

ويمكن أن تنشأ علاقات إنسانية حميمة بين أتباع أديان مختلفة بعيداً عن

---

[١٤٧] سورة البقرة: ١٩٠.

[١٤٨] سورة الرحمن: ٦٠.

التظالم والغِش والبغضاء. فلتختلف الأديان فتلك مشيئة الله ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[١٤٩].

إننا أمة تحترم نفسها، ومن حقها أن يحترمَها الآخَرون، وأن يقيموا علاقاتهم معها على العدل والأدب، فهل ذلك صعب؟

ـ في الحديث الشريف: ﴿والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما مِن عَبْدٍ يُصَلِّي الصَّلَواتِ الخَمْسَ ويَصُومُ رَمَضانَ ويُؤَدِّي الزَّكاةَ ويَجْتَنِبُ الكَبائِرَ السَّبْعَ إلّا فُتِحَتْ لَهُ أبْوابُ الجَنَّةِ الثَّمانِيَةُ يَوْمَ القِيامَةِ حَتّى إنَّها لَتَصْفِقُ (أي من فراغها)، ثُمَّ تَلا ﴿إنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكم سَيِّئاتِكم﴾[١٥٠]﴾[١٥١].

---

[١٤٩] سورة هود:١١٩.

[١٥٠] سورة النساء: ٣١.

[١٥١] أخرجه النسائي، في الطهارة، باب ١٠٨، وابن ماجه، في الجنائز، باب ٥٧. واحتج به الشوكاني في فتح القدير، ج١، ص٥٧٩.

قيـام الديـن الإسلامـي

لن يقوم هذا الدين إلا بالقرآن الكريم، يكون ناطقاً حياً يعكس سلوك المسلمين، فهو الكتاب الذي ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[١٥٢].

ولن يقوم هذا الدين إلا بإقامة العدل والإحسان بين الناس... ولن ينصر هذا الدين إلا الحديد، وهو القوة المادية التي أمِرنا بإعدادها لنُرهبَ أعداء الله ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[١٥٣].

فالكتاب للناس كافة، وللعلماء خاصة، والميزان للناس عامة وللوزراء والقضاة خاصة، أما الحديد فللحكام؛ يحفظون ماء وجههم أمام الله، ثم أمام رعيتهم، يُرهبون به عدو الله وعدوهم وآخرين لا يعلمونهم...

---

[١٥٢] سورة الإسراء: ٩.
[١٥٣] سورة الحديد: ٢٥.

إســـلام واضـــح

نعم للشريعة في ضوء الاجتهاد، ولا للجمود باسم الشريعة.

نعم للاعتزاز بالدين، ولا للتعصب الأعمى.

نعم للتفاعل الفكري، ولا للغزو الفكري.

نعم للحوار البنّاء، ولا للتشكيك الهدام.

إن شريعة الإسلام لا تضيق بجديد، ولا تعجِز عن إيجاد حل لأي مشكلة، وإنما العجزُ في عقول بعض المسلمين، أو في إرادتهم، وإن الاجتهاد أصبح في عصرنا فريضةً يوجبها الدين وضرورةً يحتّمها الواقع.

ـ إن الإسلام يخاطب العقل، ويدعو إلى الاجتهاد والتجديد، ويتسم بالوسطية في كل شيء ويمتاز بالواقعية، ويكرم المرأة ويعدها إنساناً كاملاً له حقوقه وعليه واجباته، ويرعاها بنتاً وزوجة وأمّاً وعضواً في الأسرة والمجتمع...

إن الإسلام يرى أن الأسرة أساس المجتمع وأن الزواج هو أساس الأسرة، ويهتم بالتربية والتوجيه، ويقيم المجتمع على أواصر الإخاء والوحدة بين أبنائه، فالناس كلهم إخوة تجمع بينهم العبودية لله والبنوة لآدم: ﴿يا أيُّها النَّاسُ ألا إنَّ ربَّكم واحدٌ وإنَّ أباكم واحدٌ﴾[١٥٤]، وإن اختلافهم واقع بمشيئة الله وحكمته، وهو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

- إن الإسلام يقابل الفكرة بالفكرة والشُّبهة بالحُجة، فلا إكراه في الدين، ولا إجبار في الفكر، فهو يرفض العنف منهجاً والإرهاب وسيلة، ويؤمن

---

[١٥٤] سبق تخريجه برقم ١٤١.

بالحوار الهادف البناء مع الالتزام بأدب الخطاب ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١٥٥].

- إن الإسلام يؤمن بأن الله خلق الناس مختلفين: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[١٥٦].

- إن الإسلام لا يكتفي بالتغني بحضارته الزاهرة بالأمس، ولكنه يعمل على إبداع حضارة إسلامية معاصرة تأخذ بكل ما هو نافع من عناصر العلم والتقنية وحُسْنِ الإدارة والتنظيم...

- إن الإسلام يرى أن المسلمين ـ حيثما كانوا ـ أمة واحدة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[١٥٧].

---

[١٥٥] سورة النحل: ١٢٥.
[١٥٦] سورة هود: ١١٨.
[١٥٧] سورة آل عمران: .١٠٣.

تقــوى اللـــه

لله سبحانه وتعالى مئة رحمة، رحمة واحدة في الدنيا يتراحم بها بنو الإنسان والحيوان، وتسع وتسعون رحمة مؤجلة إلى يوم الدين. يوم يقوم الناس لرب العالمين.

إن رحمة الله وسعت كل شيء. وقد كتبها الله تعالى للذين يتقون، فيطيعون ربهم، ويتبعون رسولهم النبي الأمي، قال تعالى: ﴿... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ...﴾[١٥٨].

إن الذين يتقون الله يجعل لهم من ثبات القلوب وقوة البصائر وحسن الهداية ما يفرقون به بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[١٥٩].

ولكن المسلمين إذا تنازعوا فشِلوا وذهبت قوتهم، ومرجع ذلك الفشل والضعف هو عِصيان الله ورسوله. قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١٦٠].

إن عز أمتَنا دينُها، ولم تعمل بهذا الدين منهجاً وسلوكاً كما ينبغي، بل صارت تتندر بدينها كلاماً فقط، وقد زيّن لها الشيطان أعمالها، وما أكثرَ

---

[١٥٨] سورة الأعراف: ١٥٦، ١٥٧.
[١٥٩] سورة الأنفال: ٢٩.
[١٦٠] سورة الأنفال: ٤٦.

التناقضَ في أفرادها، ولعلنا نتصف بما يلي:

- نحرِص على شؤوننا الخاصة، ولكننا مقصّرون في تربية أبنائنا، غافلون عمن يصاحبون وعما يشاهدون وعما يقرؤون.

- نحرِص على بر الوالدين، ولكننا نظلم زوجاتِنا ونُسيء عشرتهن أحياناً.

- ننصرف إلى العلم والعبادة، ولكننا مقصرون في علاقاتنا الاجتماعية وبالاهتمام بأمر بعضنا البعض بوصفنا مسلمين، ومتساهلون بآداب الإسلام، كمجالسة الناس ومحادثتهم. قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[١٦١]، وقال رسول الله ﷺ: ﴿المُؤْمِنُ يَأْلَفُ ويُؤْلَفُ، ولا خيرَ فيمَن لا يَأْلَفُ ولا يُؤْلَفُ﴾[١٦٢].

- أمتنا لن تموت ولكنها مريضة مشلولة...

- أمتنا أمةٌ: الغالبُ على أفرادها أنهم يعاهدون الله، ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون.

- أمتنا ليس لها عقاب أبدي في الآخرة، ولكن عذابها في الدنيا: «الفتن، والزلازل، والقتل».

إن الله أخذنا بذنوبنا: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[١٦٣]. ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١٦٤].

إن نعمة العزة والسؤدَد والنصر والتمكين التي كنا نتصف بها ونحمَد الله

---

[١٦١] سورة البقرة: ٨٣.
[١٦٢] السلسلة الصحيحة، للألباني، برقم ٤٢٦.
[١٦٣] سورة آل عمران: ١٨٢، وسورة الأنفال: ٥١.
[١٦٤] سورة الأنفال: ٥٢.

عليها... قد فرّطنا فيها وفقدناها... ولكن المفقود مضمون العودة بإذن الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٦٥].

﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١٦٦].

نسأل الله أن يهدينا في من هدى، ويملأ قلوبنا خيراً، ويؤتينا خيراً مما أخذ منا، وأن يلهم أمتنا رشدها ويعيد إليها عزها.

---

[١٦٥] سورة الأنفال: ٥٣.

[١٦٦] سورة الأنفال: ٧٠.

أين الإيمــان وكيف العمــل؟

عندما نكون صادقين يهدينا الله تبارك وتعالى إلى الإيمان: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١٦٧].

إن أمتنا الإسلامية ضعيفة بالقياس إلى الأمم الأخرى، ومغلوبة غير منصورة إذا بقيت على حالها الراهنة.

ولعل سؤالاً يرِد على الأذهان: ما الذي أصاب أمتنا الإسلامية حتى لم تعد جديرة بأن تقف على رجليها وتواجه هذا الواقع الذي نعيشه بعز وكرامة؟

والجواب: لقد أَصاب أمتَنا الإسلامية خللٌ في الإيمان ـ وهذا أمر جوهري يعطي هذه الأمة شخصيتها ويَميزها من غيرها ـ إذ ليس الإيمان بالتمني والتسمي، بل الإيمانُ حالٌ توجد في القلب وتؤثر في السلوك، سواء أكان هذا السلوك خارجياً أم داخلياً. وضابطه هو طاعة الله ورسوله، ومتى أطعنا الله ورسوله تزكت نفوسنا، وتهذبت طباعنا، واستقام سلوكنا الخارجي والداخلي- لا محالة - بخلاف توجيه العناية إلى تقويم السلوك الظاهر فقط، فإنه بناء من دون أساس، ومعلوم أن كل بناء من غير أساس عُرضة للخلل والانهيار.

إننا خير أمة أخرِجت للناس لهدايتهم، وبضاعتُنا هذا الإسلام العظيم، ومن الهزل أن تعرض الإسلامَ أمةٌ ضعيفة مغلوبة ينظر إليها غيرُها شزْراً.

---

[١٦٧] سورة الحجُرات: ١٧.

فلا بد للمسلمين، حكاماً ودعاة وقاعدة، إن أرادوا أن تدِب في الإسلام العافية والسلامة، وأن يكون مستقبلَهم الذي ينشدونه، أن يمَسّوا موضع الخلل في أمتهم:

١ ـ أن يدركوا المستوى الصناعي والحضاري الذي يسود العالم من حولنا.

٢ ـ أن يدرسوا التياراتِ السياسية والقوى العسكرية التي حظي بها غير المسلمين.

٣ ـ أن يدرسوا الكون؛ لأنه أهم ينابيع الإيمان، وأن يُحسنوا استغلاله؛ لأن حُسن استغلاله سلاح اقتصادي وعسكري.

٤ ـ أن يحاربوا الغِش الثقافي والانحراف الفكريين اللذين أبعدا الأمة الإسلامية عن كتاب ربها سبحانه وسنّة نبيها ﷺ.

٥ ـ أن يحوّلوا درس التربية الإسلامية النظري إلى ميدان عمل تطبيقي يبنى على الحكمة.

إنني أخشى أن تكون جهود بعض الدعاة المتواصلة للنهوض بهذه الأمة المغلوبة كجهود جماعة من الركاب في سيارة، أبدى سائقها اهتماماً بهم، وانصرف يحدّثهم ويناقشهم ويجاملهم ولم ينظر إلى الأمام فحصل ما حصل. أو كجهود جماعة من الركاب تعطلت بهم سيارتهم فنزلوا يجتهدون في إصلاحها لتواصل بهم السير، ولكنهم لم يصبّوا اجتهادهم في الهدف ولم يُجمِعوا جميعاً، فواحدٌ اجتهد في تجديد دهان السيارة، وثان اجتهد في

نفخ الإطارات، وثالث اجتهد في تجديد الفرش، ورابع اجتهد في تغيير المصابيح والزينات... ولكن السيارة ندَبت حظها وقالت للدعاة معاتبة: إن جهودكم على عظمتها ونفعها لم تمَسَّ موضع العُطل والخلل فيها.

إن إصلاح خلل الأمة لا يكون إلا بالإيمان الصادق ومداومة العمل الصالح بالسلوك القويم، وهذا يوصل إلى أربع ثمرات: الاستخلاف في الأرض، والتمكين في الدين، والأمن العام النفسي والاجتماعي، والغلبة والانتصار على كل دولة محاربة للإسلام.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ...﴾[١٦٨].

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يمن علينا فيصلح حال هذه الأمة.

---

[١٦٨] سورة النور: ٥٥.

غارقون ويريدون نصراً!

أقسم الله لعباده المؤمنين إنه ناصرهم إن نصروه، وذلك باتباع ما شرعه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه ونصرة رسله وأتباعه، فهو سبحانه العزيز الغالب الذي لا يغلبه شيء: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١٦٩).

أجل. إن نصر الله لنا نحن - المؤمنين - يكون بنصرة الله منا؛ نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونصلي ونصوم ونزكي ونحج البيت، جاعلين هذا كله لله رب العالمين، عند ذلك يثبّت الله أقدامنا فيمكننا في الأرض وينصرنا على عدونا وحسادنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(١٧٠)، عندها نكون مؤمنين قولاً وعملاً وسلوكاً: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(١٧١). وما عاقبة هذه الأمور التي ائتمرنا بها ونفذناها؟ الجواب في وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(١٧٢)، وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١٧٣)، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا

---

١٦٩ سورة الحج: ٤٠.
١٧٠ سورة محمد: ٧.
١٧١ سورة الحج: ٤١.
١٧٢ سورة غافر: ٥١.
١٧٣ سورة الروم: ٤٧.

الْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُم الْغَالِبُونَ﴾[١٧٤].

نعم. إن الذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ليس لهم وعد من الله بالنصر ولو دعوا ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً. فمثلهم كمثل الأجير الذي لم يعمل لمستأجره شيئاً ثم جاء يطلب منه الأجرة. إن الذين يرتكبون جميع المعاصي ممن يتسمون باسم المسلمين ثم يقولون: «إن الله سينصرنا» مغترون...

ومعنى نصر المؤمنين لله نصرهم لدينه ولكتابه، وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا، وأن تقام حدوده في أرضه، وتمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه، ويحكم في عباده بما أنزل على رسوله ﷺ.

هل أفدنا من سورة الحديد، وصنعنا في بلادنا مصانع تدفع دبابات وطائرات في الجو وبارجات في البحر؟ هل عرفنا معنى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[١٧٥]؟

هل فهمنا قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[١٧٦]؟

هل تدبرنا معنى قول النبي ﷺ: ﴿لا ينبغي للمؤمنِ أن يُذِلَّ نفسَه. قالوا: وكيف يُذِلُّ نفسَه؟! قال: يتعرضُ من البلاءِ لما لا يُطِيقُ﴾[١٧٧].

هل تدبرنا قول ابن تيمية: «إن كان إنكار المنكر سيؤدي إلى مفسدة أكثر فحكم إنكار المنكر حرام»؟

---

[١٧٤] سورة الصافات: ١٧١-١٧٣.
[١٧٥] سورة آل عمران: ١١٠.
[١٧٦] سورة الشورى: ١٣.
[١٧٧] مشكاة المصابيح، للألباني، برقم ٢٤٣٧.

نعم، لقد قتل عبد الرحمن بن ملجم، وكان من قبل أحد جند الإمام علي، أقول لقد قتل علياً من قفا رأسه مردداً قوله تعالى: ﴿إنِ الحُكمُ إلا لله﴾[١٧٨].

نعم. لقد تجرأ على رسول الله ﷺ ذُو الخُوَيْصِرَةِ -وهو رَجُلٌ مِن بَنِي تَمِيمٍ- فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، اعْدِلْ، فَقالَ: ﴿ويْلَكَ! ومَن يَعْدِلُ إذَا لَمْ أَعْدِلْ؟! قدْ خِبْتَ وخَسِرْتَ إنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ فَقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لي فيه فأضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقالَ: دَعْهُ، فإنَّ له أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ﴾[١٧٩].

فلا المفرّطون في دينهم بخير، ولا المعجبون بدينهم بخير، ولا المغالون في دينهم بخير. أما الخير ففي الوسط، في الاعتدال.

ديننا ليس دين انكماش أو انغلاق، ديننا دين انفتاح على الآخرين، فينبغي لكل منا أن يُحسِن العرض بأسلوب ناجح؛ فإنّ سوء العرض، وضعف الأسلوب لا يأتيان بخير أبداً.

---

[١٧٨] سورة الأنعام: ٥٧.

[١٧٩] صحيح البخاري، برقم ٣٦١٠.

حال المسلمين وعلاجهم

ـ قال رسول الله ﷺ: ﴿أمتي هذه أمةٌ مرحومةٌ، ليس عليْها عذابٌ في الآخرةِ، عذابُها في الدُّنيا، الفتنُ، والزلازلُ، والقتلُ﴾(١٨٠)

من أعلام نبوته ﷺ:

ـ قال ﷺ: ﴿إنَّ بين يَدَيْ السَّاعَةِ الهَرْجَ، قالوا: وما الهَرْجُ؟ قال: القَتْلُ، إنَّهُ ليس بقَتْلِكُمُ المُشْرِكِينَ، ولكنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، [حتى يقتلَ الرجلُ جارهُ، و يقتلُ أخاهُ، ويقتلُ عمَّهُ، ويقتلُ ابنَ عمِّهِ] قالوا: و مَعَنا عُقُولُنا يومَئذٍ؟ قال: إنَّهُ لَتُنْزَعُ عُقُولُ أهلِ ذلكَ الزَّمانِ، ويُخَلَّفُ لهُ هَباءٌ مِنَ الناسِ (قليلو العقل)، يَحْسِبُ أكثرُهُمْ أنَّهُمْ على شيءٍ، ولَيْسُوا على شيءٍ﴾(١٨١).

ـ قال النبي ﷺ: ﴿إني صليتُ صلاةَ رغبةٍ ورهبةٍ، سألتُ اللهَ عزَّ وجلَّ لأمَّتي ثلاثًا، فأعطاني اثنتَين وردَّ عليَّ واحدةً، سألتُه ألّا يُسلِّطَ عليهم عدوًّا من غيرِهم فأعطانيها، وسألتُه ألّا يُهلِكهم غرقًا فأعطانيها، وسألتُه ألّا يجعلَ بأسَهم بينهم فردَّها عليَّ﴾(١٨٢).

ـ وقال ﷺ: ﴿إذا ظهر السُّوءُ في الأرضِ أنزلَ اللهُ بأسَه بأهلِ الأرضِ، وإن كان فيهِم قومٌ صالِحون يُصيبُهم ما أصابَ النَّاسَ، ثمَّ يرجِعون إلى رَحمةِ اللهِ ومغفِرتِهِ﴾(١٨٣).

---

١٨٠ صحيح أبي داود، برقم ٤٢٧٨. ومسند أحمد ٤١٠/٤.
١٨١ مسند أحمد ٣٩١/٤.
١٨٢ صحيح ابن ماجه، برقم ٣٢٠٦.
١٨٣ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤٤١/٢-٢.

ـ وقال ﷺ: ﴿إذا أرادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً عَجّلَ لَهُ العُقُوبةَ في الدُّنْيا، وَإذا أرادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرّاً أمْسَكَ عَلَيْهِ ذُنوبَهُ حَتّى يُوافِيَهِ يَومَ القِيامةِ﴾[١٨٤].

ـ وقال ﷺ: ﴿يُوشِكُ الأممُ أن تداعَى عليكم كما تداعَى الأكَلةُ إلى قصعتِها. فقال قائلٌ: ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءُ السَّيلِ، ولينزِعنَّ اللهُ من صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذِفَنَّ اللهُ في قلوبِكم الوهْنَ. فقال قائلٌ: يا رسولَ اللهِ! وما الوهْنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنيا وكراهيةُ الموتِ﴾[١٨٥].

العـــــلاج

الذنب واقع ولا يجوز الإصرار عليه:

إن الاستغفار مطلوب، قال الله تعالى، على لسان نبيه نوح عليه السلام: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا [١٨٦].

ـ قال نبينا محمد ﷺ: ﴿لو أنّ العِبادَ لم يُذْنِبوا لَخَلَقَ اللهُ، عز وجل، خلقاً يُذنبونَ ثمَّ يَغفرُ لَهُمْ، وهوَ الغَفورُ الرَّحيمُ﴾[١٨٧].

ـ وقال ﷺ: ﴿لو أرادَ اللهُ ألّا يُعصى ما خلق إبليسَ﴾[١٨٨].

لا ينبغي أن ننقد غيرنا من قبل أن ننظف حالنا وهيئتنا:

ـ قال سيدنا محمد ﷺ: ﴿يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسى الجذع

---

[١٨٤] رواه الترمذي ٦٤/٢.
[١٨٥] صحيح أبي داود، برقم ٤٢٩٧.
[١٨٦] سورة نوح: ١٠.
[١٨٧] أخرجه الحاكم ٢٤٦/٤، س أ٢ ـ٦٩١.
[١٨٨] رواه البيهقي في الأسماء ١٥٧، س أ٤ ـ١٩٥.

في عينه معترضاً﴾[١٨٩].

ـ الله سبحانه قال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[١٩٠]، فهل قلنا للناس حسناً؟ وهنا «أل» استغراقية: تشمل أهل الأديان والملل والنِّحل؛ لأن الإسلام رسالة عالمية، ورسولنا الكريم بُعث للناس جميعاً...

ـ الرسول ﷺ قال: ﴿خالقِ النَّاسَ بخلقٍ حسنٍ﴾[١٩١] فهل خالقناهم بالخلق الحسن، أم أننا نستعدي الآخَرين علينا؟

ـ الرسول ﷺ قال: ﴿أتبِعِ السَّيِّئةَ الحسَنةَ تَمْحُهَا﴾[١٩٢]، نعم، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[١٩٣].

ـ الرسول ﷺ قال: ﴿تَهَادُوا تَحَابُّوا﴾[١٩٤]، ودعوته، ﷺ عالمية، والهدية مفتاح باب نشر الدعوة، فهل فعلنا؟

ـ الرسول ﷺ قال: ﴿أنا وَكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كَهاتين، وأشارَ بإصبُعَيْهِ يعني: السَّبَّابةَ والوسطى﴾[١٩٥]. فإذا أردنا مجتمعاً محوطاً بسياج العفة والطهر والشرف سعَينا على اليتامى والأرامل.

ـ هل تصدقنا، هل زكينا أموالنا ؟ لنبدأ الميدان العملي التطبيقي.

ـ قال ﷺ: ﴿لا ينبغي للمؤمنِ أن يُذِلَّ نفسَه. قالوا: وكيف يُذِلُّ نفسَه؟! قال:

---

[١٨٩] رواه البخاري في الأدب المفرد ٥٩٢، س أ ١ـ ٤٢.
[١٩٠] سورة البقرة: ٨٣.
[١٩١] صحيح الترمذي، برقم ١٩٨٧.
[١٩٢] المصدر السابق.
[١٩٣] سورة هود: ١١٤.
[١٩٤] أخرجه البخاري، في الأدب المفرد، برقم ٥٩٤.
[١٩٥] صحيح الترمذي، برقم ١٩١٨.

يتعرضُ من البلاءِ لما لا يُطِيقُ﴾[١٩٦]. فإنكار المنكر إذا كان سيؤدي إلى مفسدة أكثر فإنه حرام. قال بهذا التحريم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

وإنكار المنكر درجات، وقد يكون المصرَّح به أنه أضعف الإيمان وهو الإنكار بالقلب يُعطى به ثواب الفاعل كما لو أنه ينكره بيده. وهل الإنكار باليد إلا فوضى مدمّرة؟!

ـ قال ﷺ: ﴿إنَّ لكلِّ أمَّةٍ فتنةً، وفتنَةُ أمَّتي: المالُ﴾[١٩٧].

أليس المال نوعاً من حب الدنيا؟!

ـ أيها الأغنياء! في أموالكم ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۞ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[١٩٨]: وهو ٢,٥ في المئة فقط.

ـ أيها الأغنياء! في أموالكم ﴿حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[١٩٩]: إنها الصدقة تطفئ غضب الرب.

ـ أيها المغتابون إخوانَكم، أيها النمّامون بين الناس: عاهدوا الله على توبة نصوح: اندموا على ما فرّطتم، وعاهدوا ربكم على الترك فوراً.

ـ كم من متآمر نسي إسلامه، وفقد إيمانه بسبب التدمير: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۞ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[٢٠٠]. ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ

---

[١٩٦] سبق تخريجه برقم ١٧٣.
[١٩٧] سبق تخريجه برقم ٧٧.
[١٩٨] سورة المعارج: ٢٤، ٢٥.
[١٩٩] سورة الذاريات: ١٩.
[٢٠٠] سورة الزخرف: ٨٠.

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[٢٠١].

غداً: الحساب ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[٢٠٢].

فهذه الدنيا مزرعة للآخرة، مزرعة تجنى ثمراتها في يوم عظيم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢٠٣]، والمسلم الواعي يعمل للحياتين معاً.

---

[٢٠١] سورة المعارج: ٤٢-٤٤.
[٢٠٢] سورة الصافات: ٢٤.
[٢٠٣] سورة الشعراء: ٨٨، ٨٩.

المسلمون اليوم

ينبغي أن نقرر بأن الإسلام هو دين جميع الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وأنّ فرقاً بين الإسلام جوهراً، وبين المسلمين مخبراً...

وينبغي كذلك أن نقرر بأن قدوة المسلمين الأول هو خاتم الأنبياء؛ سيدنا محمد ﷺ، وأن هذا القدوة ما ينطِق عن هواه، ولكنّه وحي يوحي إليه، فهو القائل في حديث شريف صحيح بأنه سيأتي زمان على المسلمين وهم كثير، ولكنهم غثاء كغثاء السيل[٢٠٤]. وغثاء السيل هو ما يجرفه هذا السيل من أطيان وأخشاب وحجارة وحيوانات ميتة، لا يمكن جمعها وتصنيعها للاستفادة منها.

هذه الغثائية هي نتيجة القلب الواهن الذي ترتب عليه فساد جسد الأمة، بسبب حب الدنيا المبني على سياسة التشبث والتملك، وكراهية الموت، ﴿إنّ لِكُلّ أمّةٍ فِتنةً، وفتنةُ أمَّتي المالُ﴾[٢٠٥]، إنه حديث شريف صحيح لرسول الله، صلوات الله وسلامه عليه.

نعم إن مَن يفتن بالمال يتشبث بالدنيا، فلا يذكر هاذم اللذات، ولا يعد للموت عُدته.

إن هذا الوهن كفيل بتخريب الشخصية ومقوماتها، وهكذا فعقل المسلم قد وُجِد في ظلال هذا القلب المريض، الذي يستدل به في الحديث الشريف على العقلية والنفسية، وقد قالوا: «المرء بأصغريه؛ قلبه ولسانه».

---

[٢٠٤] ينظر هامش رقم ١٨١.

[٢٠٥] سبق تخريجه برقم ٧٧.

إن القلب الواهي الضعيف يوجد العقلية الواهنة، ويوجد النفسية الواهنة.

ولهذا نزعم قائلين: إن المسلم المعاصر قد كوّن فكرة كبيرة عن الإسلام من خلال عقلية الوهن ونفسية الوهن والقلب الواهن، متجاهلاً أبسط سمات هذا الدين، وهي عالميته، وشموله.

هذه العالمية، وتلك الشمولية لا تعني الانكماش والانغلاق، ولكنها تعني التمدد والانفتاح. إنها تعني انتساب الناس كافة إلى آدم، وانتساب آدم إلى التراب ﴿الناسُ كلُّهُمْ بَنُو آدمَ وآدَمُ خُلِقَ من تُرَابٍ﴾[٢٠٦]، إنها تعني حرمة الأنفس والأموال، ولا تعني قتل الأرواح بحجة الإصلاح. إن إنكار المنكر إذا كان سيؤدي إلى نتائج وخيمة، فإن هذا الإنكار حرام؛ لأن فيه مفسدة أكثر من منفعة، مع إذلال النفس، لأن فاعل الإنكار يتعرض ويعرض نفسه إلى ما لا يطيق من البلاء...

إن رسول الله ﷺ هو القائل: ﴿لا ينبغي للمؤمنِ أن يُذِلَّ نفسَه. قالوا: وكيف يُذِلُّ نفسَه؟! قال: يتعرضُ من البلاءِ لما لا يُطِيقُ﴾[٢٠٧]، وابن تيمية ـ رحمه الله ـ هو القائل بحرمة إنكار المنكر إذا كان سيؤدي إلى مفسدة، قال ابن تيمية: «إذا كان شارب الخمرة الذي ينكر عليه شربه سيؤدي إلى شر أعم من شربه فإن زجره خطأ...».

إن عالمية الإسلام تعني إدخال السرور والطمأنينة إلى كل العباد، كائناً من كانوا... هب أنك تسكن في بلد أوربي، ولك جار غير مسلم، ثم سمعت

---

[٢٠٦] صحيح الترمذي، برقم ٣٩٥٥.

[٢٠٧] سبق تخريجه برقم ١٧٣.

صوتاً، ثم تبينته فعلمت أن جارك هذا في حاجة إلى دم، أفلا يدفعك الإسلام إلى التبرع بدمك لهذا الكافر؟ الجواب: بلى.

إننا لا بد أن نبَرهم ونُقسط إليهم فنصلهم ونعاملهم معاملة طيبة، ونسلّم عليهم بسلامهم، أليس ابن مسعود صحابياً تعلم وتربى في مدرسة خير الرسل ﷺ؟ الجواب: بلى. لقد أجاز ابتداء الدهاقين بالسلام بالإشارة، وهكذا نرد عليهم السلام، وهذا من عدل الإسلام ورسالته العالمية، ألم يقل عليه الصلاة والسلام: ﴿ردُّوا السَّلامَ على من كانَ يَهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا﴾[٢٠٨]؟ الجواب: بلى...

إن عالمية الإسلام تعني من جملة ما تعني الضوابط الأسرية، وحقوق المرأة خاصة. هذه المرأة التي تنتظر إلى الآن الغائب الغالي عليها: تنتظر الغائب الذي إذا جاءها ورحبت به ورحب بها، سألتْه: كيف تُفهَم «القوامة» كما يريد الإسلام، وليس الأوصياء على الإسلام، ثم تهمس في أذنه همسة عتاب قائلة: أين دوري في الدعوة كداعية؟ ومتى سأبقى منعزلة عن جيراني الكفرة وأنا بين ظهرانَيهم؟ أفليس السؤال طارحاً نفسه عليّ مِن الله، سبحانه؟ ماذا قلتِ لجيرانك عن الإسلام؟ وهل دعوتِهم إلى هذا الدين؟ وهل أنكرت عليهم ـ بالموعظة الحسنة ـ شِركَهم بالله، كيف جعلوا المسيح عيسى ابن مريم، عليه السلام، تارة الإله، وتارة ثانية ابن الإله، ومرة ثالثة روح الإله؟ وماذا سيكون جوابي يا حضرة غائبي من زمن بعيد؟!

---

[٢٠٨] صحيح البخاري، الأدب المفرد، برقم ٨٤٣.

هناك قواعد إنسانية عامة مشتركة لكل البشرية... المحبة، التآلف، التراحم، الاحترام... وهناك حقوق ينبغي أن تُرعى وأن تراعى.

إن الإسلام يُدخل معذبَ الحيوان النارَ، فكيف بمن يمثّل بإنسان ويعذبه تعذيباً ينم على وحشية فظيعة؟!

إن حق حماية الشرف والسمعة، وحق العدالة، وحق المحاكمة العادلة وحق حرية التفكير والاعتقاد والتعبير، وحق حرية الارتحال والإقامة وحق اللجوء... كل أولئك حقوق يجب أن تراعى، حتى يحس المرء بأنه إنسان فعلاً... ولهذا أقول:

لا بد لنا أن نستقريَ من جديد دعائم هذا الدين العظيم:

- فلا نناقش في أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، بل نمررها كما جاءت من غير تعطيل أو تجسيم أو تشبيه أو تمثيل.

- ونؤدي الفرائض، وهي أركان الإسلام، باستسلام واطمئنان، ونؤمن بأركان الإيمان، ولا نجد في أنفسنا أدنى حرج أو شك فيها.

- وأما هذه الفروع فإنها راجعة إلى اجتهاد المجتهدين، جزاهم الله خيراً أجمعين، نتناولها من غير همز أو لمز أو تعظيم. وإني أزعم فأقول: أفلسنا نحن مقلدين درينا أم لم نكن دارين؟

سماحة الشيخ ابن باز عالم سلفي، رحمه الله، يقول: لا يصل ثواب إهداء قراءة القرآن إلى الميت، وفضيلة الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الأباني

يقول: بل يصل، وهو سلفي كأخيه، وقبلهما قال ابن القيم تلميذ ابن تيمية في كتابه «الروح» إن ثواب القراءة يصل إلى الميت.

ويقول ابن باز: «الأضحية لا يصل ثواب دمها إلى والدي الميت»، على حين يقول الشيخ ابن عثيمين بوصول ثوابها إلى والدي الميت. وكلا الرجلين عالم، وكلاهما من داخل بلد إسلامي واحد، وكلاهما مجتهدان، جزاهما الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء[٢٠٩].

إننا نعاني حالَ تخلف وتمزق، وكلنا مسؤول عن هذه الحال. نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يكون عنا راضياً وأن يعز الإسلام وينصر المسلمين، وأن يردنا إلى هذا الدين رداً جميلاً إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

[٢٠٩] مسألة الحائض والنفساء في قراءة القرآن ـ ابن باز ـ ابن جبرين.

من صفات أهل السنة

أهل السنة والجماعة هي الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، فإنهم على تفاوتهم في ما بينهم، لهم خصائص وسمات تَميزهم من غيرهم، منها:

١ـ الاهتمام بكتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة وتفسيراً، والاهتمام بالحديث الشريف معرفة وفهماً وتمييزاً لصحيحه من ضعيفه وموضوعه، وكذلك الإجماع، فهم ملتزمون بالدين الذي أتى به الرسول ﷺ، لا دين الفلاسفة والمتكلمين.

٢ـ الدخول في الدين كله، والإيمان بالكتاب كله، فيؤمنون بنصوص الوعد، ونصوص الوعيد، وبنصوص الإثبات، ونصوص التنزيه، ويجمعون بين الإيمان بقدر الله عز وجل، وإثبات إرادة الله عز وجل، وإثبات إرادة العبد ومشيئته وفعله، كما يجمعون بين العلم والعبادة، وبين القوة والرحمة، وبين العمل بالأسباب والزهد.

هذا، واعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي ﷺ بالناجية، حيث قال: ﴿تفترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ ملَّةً، كلُّهم في النَّارِ إلَّا ملَّةً واحِدةً، قالوا: مَن هيَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ما أَنا علَيهِ وأَصحابي﴾[٢١٠]، فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية.

---

[٢١٠] صحيح الترمذي، برقم ٢٦٤١.

٣ـ التوسط والاعتدال بين فِرق الغلوّ وفرق التفريط، وهم في الأعمال والسلوك وسط بين المفرِطين والمفرّطين.

فهم متمسكون بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان. إنهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبّهة، وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية، وفي باب وعيد الله تعالى بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم.

وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج.

٤ ـ الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، وإحياء، السنة، والعمل لتجديد الدين، وإقامة شرع الله تعالى وحكمه في كل صغيرة وكبيرة.

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة الإسلامية، والأمر بالمعروف بالائتلاف والاجتماع، والنهي عن الفرقة والاختلاف.

وهكذا فهم يعتقدون معنى قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا﴾[٢١١].

٥ـ الإنصاف والعدل، فهم يوالون ويعادون على أساس الدين ولا يمتحنون الناس بما ليس من عند الله تعالى. فإنّ الناس إذا تركوا بعض ما أمرهم الله

---

[٢١١] صحيح البخاري، برقم ٤٨١.

به، وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة، والفرقة عذاب.
فكيف يجوز التفريق بين الأمة بأسماءٍ مبتدَعة لا أصل لها في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ؟

٦ـ التوافق في الإفهام، والتشابه في المواقف على رغم تباعد الأقطار والأعصار، وهذا من ثمرات وحدة المصدر والتلقي.
لقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر، اتبعوا أمر الله في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٢١٢]. وكانوا يتناظرون في المسائل العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوّة الدين.

٧ـ الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق، وتوحيد صفوفهم على التوحيد والاتّباع، وإبعاد كل أسباب النزاع والخلاف بينهم، ذلك بأن تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين من القواعد العظيمة التي هي من جُماع الدين.

٨ـ لا يخرج الحق عنهم؛ لأن جماعة أئمتهم وعلمائهم تقوم مقام النبوة في حفظ الدين. فهم (الأبدال) ـ كما يقول أهل العلم ـ لأنهم أبدال الأنبياء، وقائمون مقامهم حقيقةً، فكلٌّ منهم يقوم مقام الأنبياء في القدر الذي ناب

[٢١٢] سورة النساء: ٥٩.

عنهم فيه: فهذا في العلم والمقال، وهذا في العبادة والحال، وهذا في الأمرين جميعاً. إنهم الأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

٩ـ يعملون على تأليف القلوب واجتماع الكلمة والتآلف ومحبة الخير لكل المسلمين، والعفو والتجاوز عن إساءة المسيء، وخطأ المخطئ، ودعوته إلى الصواب، والدعاء له بالهداية والرشاد والمغفرة، فإنهم يحبون الخير لكل المسلمين ما يحبون لأنفسهم.

١٠ـ الإحسان والرحمة وحسن الخلق مع الناس كافة، والنصيحة لله ولرسوله لأئمة المسلمين وعامتهم بأسلوب أمثل، والاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم، وأداء حقوقهم، وكف الأذى عنهم.

البيت: ما هي وظيفته؟

١- للبيت أثر بعيد في تنشئة الأولاد وإحكام تربيتهم، وهذا الأثر لعله الأصل الأول في وراثة اللغة والدين، فقد قرر علماء الأخلاق أن العنصرين الحاكمين في التربية والسلوك هما: الوراثة، والبيئة

قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفِتيان فينا على ما كـــان عـوّده أبوه

٢- ليس الأب وحدَه غارسَ العادات في نفوس الأبناء، فالأم لها أثرها في غرس اللغة والدين والعادات في نفوس أبنائها. وعندما جاءت السيدة مريم بوليدها عيسى، عليه السلام، قيل لها: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٢١٣].

٣- إن أثر الأبوين معاً ينتج حاضر الأولاد ومستقبلهم.

٤- يستحيل بناء مجتمع سليم على بيوت خرِبة.

٥- إن فقدان التربية إيذان بأن الأمة لا مستقبل لها.

٦ - لقد طلب الإسلام من الأب أن يصليَ النوافل في بيته حتى يألفَ أبناؤه الركوع والسجود.

٧ - كما طلب الإسلام أن يتلى القرآن الكريم في البيت، ليتعطر جوه بمعاني الوحي، وإذا كان القرآن في التلاوة أحرفاً وأنغاماً، فإنه يفترض أن يكون سلوكاً ومنهاجاً.

---

[٢١٣] سورة مريم: ٢٨.

المـــــال والحكمـــة

كم من الأغنياء يعوزهم الذكاء أو تعوزهم الحكمة أو تعوزهم الصحة والعافية، أو تعوزهم الأسرة الهنيئة، أو يعوزهم الولد، وإذا كان عندهم الولد يعوزهم الولد البار والزوجة الصالحة.

كثير منهم مُنعوا من أكل الدهنيات أو السكريات، وعنده خزائنُ تموج بالذهب، ومع ذلك فإنه يحمل مسؤولية كبرى، فإنه سيسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟

نَعَمْ، المال نعمة. ولكن البصر نعمة ما بعدها نعمة، هَب أنّ أحداً قال لك: خذ مليوناً وتفقِد بصرك؟ فهل ترضى؟ وقِس على ذلك السمع والشم والذوق واللغة، فضلاً عن الذكاء وغير ذلك. ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها﴾[٢١٤].

إن الله تعالى عندما يوسّع على قوم، ويضيّق على قوم فإن لذلك حِكماً، منها إظهار الابتلاء وتحقيق الامتحان ليظهر من يشكر ممن يكفر، ومن يَجزع ممن يصبِر، ومن يعمل صالحاً ممن يعمل طالحاً.

أما أولئك المتفلسفون الذين يحكّمون عقولهم القاصرة في مسألة الغنى ويقولون بضرورة الغنى للجميع فإنهم متوهمون يريدون أن تكون حكمة رب العالمين على أهوائهم: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَواتُ وَالأَرْضُ﴾[٢١٥] نَعم إذا كان كل واحد يظن أن الحكمة ينبغي أن توافق

---

[٢١٤] سورة إبراهيم: ٣٤.

[٢١٥] سورة المؤمنون: ٧١.

هواه فكيف ستستقيم الحياة؟ إن الشاب الذي يدخل على عروسه في الليلة الأولى يطلب من ربه أن تطول ليلته. وكذلك الشاب المريض يطلب من ربه أن تقصر ليلته؟ فلمن يستجيب الله؟!

إن لله حكمةً قد نعرفها، وربما لا نعرفها. يُحكى أن رجلاً وابنه كانا تحت نخلة في بستان. فقال الولد: انظر يا والدي إلى نبتة البطيخ: نبتة البطيخ صغيرة تعطي ثمرة كبيرة، وانظر إلى هذه النخلة: شجرة كبيرة تعطي ثمرة صغيرة. ثم قال لوالده: أليس العقل يقول أن تتناسب كل نبتة مع ثمرتها؟ قال الوالد: لعل الله له حكمة لا نعرفها، ثم استلقى على ظهره ليستريح ولما غفت عيناه سقطت من أعلى النخلة تمرة فأصابت عينه وآلمته وصاح من أثر ذلك، فقال له والده: اِحمَد الله أنها لم تكن بطيخة!

نَعم، إننا قاصرون وعاجزون عن إدراك كثيرٍ من الحكم، وما علينا إلا أن نقول كما قالت الملائكة:

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[٢١٦].

---

[٢١٦] سورة البقرة: ٣٢.

الإحسان والمحسنون

* «أَحْسَنَ أَحْمَدُ»؛ أي صار ذا إحسان. وعليه فوزن «أحسن» «أفعل»، ومعناه الصيرورة؛ أي صار صاحب ما اشتق منه، وهو أحد معاني «أفعل» العشرة المذكورة في كتب الصرف[٢١٧].

﴿هَلْ جَزاءُ الإحْسانِ إلّا الإحْسانُ﴾[٢١٨].

هل: حرف استفهام تضمن معنى النفي (ما جزاء الإحسان إلا الإحسان).

جزاء: مبتدأ، وهو مضاف. الإحسان: مضاف إليه. إلا: حرف حصر.

الإحسان: خبر.

﴿هَلْ أتَى عَلى الإنْسانِ حِيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[٢١٩].

هل: حرف استفهام تضمن معنى «قد».

أحسِنوا: أي صِيروا أصحاب إحسان.

متى يسمّى المسلم محسناً؟

١ ـ التقوى: طاعة الله ورسوله في كل أمر، والانتهاء عن كل ما نهى عنه الله ورسوله.

٢ـ الصبر: ﴿إنّما يُوَفّى الصّابِرونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[٢٢٠].

---

[٢١٧] ينظر سيبويه ٢٢٣/٢، ط بولاق.، وشرح الشافية، للرضي، ٨٦/١. والمخصص، لابن سيده، ١٦٩/١٤.

[٢١٨] سورة الرحمن: ٦٠.

[٢١٩] سورة الإنسان:١.

[٢٢٠] سورة الزمر: ١٠.

ـ ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٢١].

ـ ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٢٢].

ـ فمن يصبِرْ يغدُ محسناً.

ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٢٢٣].

فمن يتق الله، فالله معه، ومن يحسن يغدُ محسناً.

ـ ﴿وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٢٤].

أحسنوا: صِيروا أصحاب إحسان.

ـ ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٢٥].

فمن يكظم غيظه (أي يضبط أعصابه عند الغضب) يغدُ محسناً.

ومن يعفُ عن الناس، كائناً مَن كانوا، يغدُ محسناً.

ـ ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٢٦].

فمن يعف ويصفح يغدُ محسناً.

ـ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٢٧].

ـ ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢٢٨].

---

[٢٢١] سورة يوسف: ٩٠.
[٢٢٢] سورة هود: ١١٥.
[٢٢٣] سورة النحل: ١٢٨.
[٢٢٤] سورة البقرة: ١٩٥.
[٢٢٥] سورة آل عمران: ١٣٤.
[٢٢٦] سورة المائدة: ١٣.
[٢٢٧] سورة الأعراف: ٥٦.
[٢٢٨] سورة التوبة: ٩١.

قريب: (فعيل) يستوي فيها المفرد والجمع والمذكر والمؤنث.

إذا كانت رحمة الله قريبة من المحسنين، فإن الشياطين وأعوانهم ليس لهم سبيل على هؤلاء المحسنين.

ـ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٢٩].

فمن يجاهد في سبيل الله يغدُ محسناً.

ـ ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۞ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾[٢٣٠].

فأهل القرآن الكريم الذين يتدبرونه ويعملون بأوامره وينتهون عن نواهيه، هم من المحسنين.

ـ ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ۞ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٣١].

ـ ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۞ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٣٢].

فجزاء المحسنين سلام من ربهم عز وجل، ومن يكن له من الله سبحانه سلام فقد فاز.

---

[٢٢٩] سورة العنكبوت: ٦٩.
[٢٣٠] سورة لقمان: ٢، ٣.
[٢٣١] سورة الصافات: ٧٩، ٨٠.
[٢٣٢] سورة الصافات: ١١٠، ١١١.

التعامــل مع غير المسلميــن

الكفار نوعان:

١ـ محاربون للإسلام والمسلمين: وفي هذا النوع قال الله تعالى:
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[٢٣٣].

٢ ـ غير محاربين للإسلام والمسلمين: وفي هذا النوع قال الله تعالى:
﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٢٣٤].

معنى أن تبروهم: أن تصِلوهم.

فإنه تجوز مخالطتهم ومجالستهم ومؤانستهم، في سبيل دعوتهم إلى الله وشرح تعاليم الإسلام لهم وترغيبهم في الدخول في هذا الدين، كما تجوز مصاحبتهم وإظهار المودة لهم[٢٣٥].

فإنْ مرِض جارك النصراني أو اليهودي عُدتَه وسألت عنه، وإن كان في حاجة إلى معونة قدمتها له، ولك في ذلك أجر، لما في ذلك من الإحسان، لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِيْنَ﴾[٢٣٦].

وافرِض أنه عطس، فالواجب عليك أن تقول له كما في الحديث الشريف: ﴿يهْدِيْكُمُ اللهُ وَيُصْلُحُ بَالَكُمْ﴾[٢٣٧].

---

٢٣٣ سورة المائدة: ٥١.
٢٣٤ سورة الممتحنة: ٨.
٢٣٥ فتوى ابن جبرين: من فتاوى المرأة ١٣/١.
٢٣٦ سورة البقرة: ١٩٥.
٢٣٧ صحيح سنن أبي داود برقم ٥٠٣٨.

وهكذا فالكفار في حاجة إلى الهداية. وقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يدعو لبعض الكفار بأن يهديَه الله أو يرزقه، كما دعا لأم أبي هريرة حتى هداها الله سبحانه وتعالى، وكما دعا لدَوس فقال: ﴿اللَّهمَّ اِهْدِ دَوساً وائْتِ بِهِمْ﴾ فهداهم الله. وكما روى أبو داود أنه استسقى لبعض المشركين لمّا طلبوا منه أن يستسقيَ لهم، وكان ذلك إحساناً منه إليهم يتألف به قلوبَهم. كما كان يتألفهم بغير ذلك[٢٣٨].

والتجارة معهم جائزة[٢٣٩].

وفي السنة أن رسول الله ﷺ قد عامل اليهود، وقد مات ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير[٢٤٠].

أما تبادل الهدايا في ما بين المسلمين وأهل الكتاب فإنها كانت على عهده، ﷺ وفي زمن الخلفاء الراشدين.

ـ إن سيدنا رسول الله ﷺ قد قبِل هديتين من النجاشي يوم كان ملك الحبشة:

أـ الهدية الأولى: خُفان ساذجان أسودان، وقد لبسهما ﷺ ثم توضأ ومسح عليهما[٢٤١].

ب ـ الهدية الثانية: حلقة فيها خاتم من ذهب، قبل الهدية ﷺ ثم دعا بابنة ابنته أمامة بنت أبي العاص، وقال لها: ﴿تحلي بهذا يا بنية﴾[٢٤٢].

---

٢٣٨ فتاوى ابن تيمية ١٤٥/١.
٢٣٩ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/٦، ١٣.
٢٤٠ صحيح سنن ابن ماجه ٥٨/٢
٢٤١ صحيح سنن ابن ماجه ٩٠/١.
٢٤٢ صحيح سنن ابن ماجه ٢٩١/٢.

ـ وفي زمن الخلفاء الراشدين: كسا الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، مشركاً حلة كان رسول الله ﷺ أهداها إليه[٢٤٣].

نعم إن رسول الله ﷺ قدِم عليه رجل مشرك اسمه عامر بن مالك بن جعفر (يدعى مُلاعب الأسنّة، وصار يمتدح الإسلام ورسول الله ﷺ، ولمّا عرض الرسول ﷺ عليه الإسلام أبى، وفي هذه اللحظة قدَّم المشرك هديةً إلى سيدنا رسول الله ﷺ، فقال له: ﴿إني لا أقبل هدية مشرك﴾[٢٤٤].

قال ابن القيم: «لا ينافي هذا قبول هدية (أكيدر) وغيره من أهل الكتاب؛ لأنهم أهل الكتاب قبل هديتهم»[٢٤٥].

إنه يجوز لكم عندما تضحون أن تهدوا إلى النصارى واليهود من لحم أضحيتكم[٢٤٦]، ذلك بأن الهدية إنْ قدِّمت إليهم بسبب فقرهم أو قرابتهم (قد يكون والداه غير مسلمين)، أو جوارهم، أو تأليف قلوبهم، فإن الهدية بهذه النية تكون من أحسن الأعمال، فلقد صرف الرسول ﷺ الزكاة إلى المؤلفة قلوبهم؛ ليتألفهم على الإسلام والدخول فيه. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ...﴾[٢٤٧]، وبهذا تكون الهدية وسيلة عظيمة من وسائل الدعوة إلى الله وتحبب الناس في الدين، وسلوك مسلك الصالحين[٢٤٨].

---

٢٤٣ موسوعة عمر، ص٨٥٥ نقلا عن المغني ٢ /٢٤١.
٢٤٤ أخرجه البزّار ١٣٨ في زوائده عن مَعمر، والبيهقي في دلائل النبوة، المجلد الأول.
٢٤٥ فتاوى رسول الله ﷺ، ص ٥٨.
٢٤٦ منار السبيل، العدد ٩، ص١٣، نقلاً عن اللجنة الدائمة بالسعودية.
٢٤٧ سورة التوبة: ٦٠.
٢٤٨ مرآة جامعة الإمام، العدد ٩، ص١٧٧.

ويجوز لكم أن تشيعوا جنازتهم؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ شيعوا جنازة أم الحارث بين ربيعة، وكانت نصرانية، من دون أن ينكر ذلك أحد[٢٤٩].

وقد سئل رسول الله ﷺ: إنه تمر بنا جنازة الكافر، هل نقوم لها؟ قال نعم إنكم لستم تقومون لها، إنما تقومون إعظاماً للذي يقبض النفوس. وقد قام رسول الله ﷺ لجنازة يهودي، فسُئل عن ذلك فقال: ﴿إن للموت فزعاً، فإن رأيتم جنازة فقوموا﴾. وفي رواية: ﴿أوَ ليست نفساً خلقها الله﴾[٢٥٠].

إن الإسلام يحترم العلم والمعلمين، سواء أكانوا مسلمين أم نصارى أم يهوداً: لقد كان جيو رجيسس بن بختيشوع الفيلسوف الطبيب النصراني من أُقرب العلماء إلى قلب المنصور العباسي. كما كان نوبخت وولده سهل الفارسيان المجوسيان من أقرب الناس إليه، وكانا منجّمين. وقد أسلمت ذرية سهل في ما بعد.

وههنا ملحوظة مهمة جداً: إنه يعامل المجوس معاملة أهل الكتاب كما أجاب عبد الرحمن بن عوف، وهو أحد العشَرة المبشرين بالجنة، سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نقلاً عن سيدنا رسول الله ﷺ. وقد وكل الرشيد إلى يوحنا بن ماسويه ديوان الترجمة، وظل في خدمة الخلفاء العباسيين حتى عهد المتوكل. وأما المأمون فقد ولى يوحنا البطريق أمانة

---

[٢٤٩] موسوعة فقه عثمان، ص ٢٣٦، نقلاً عن المحلّى ٥ /١١٧.
[٢٥٠] فتاوى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لابن القيم، ص١٤٥.

ديوان الترجمة، كما قرب إليه سهل بن سابور وابنه سابور بن سهل، وكانا فيلسوفين طبيبين نصرانيين.

وهكذا فحق المعلمين والمعلمات عليكم سواء أكانوا مسلمين أم نصارى أم يهوداً أن تبروهم وتقسطوا إليهم؛ لأن الله يحب المقسطين.

سيدنـــــا محمد رسول الله ﷺ

ولد سيدنا محمد رسول الله ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، بمكة المكرمة عند بيت الله الحرام، سنة ٥٧١ م، وفي زعامة جده عبد المطلب بن عبد مناف الهاشمي القرشي سادة مكة وذوو الشرف والنفوذ فيها، ومحل تقدير العرب واحترامه... وقد اتصلت حلقات نسبهم بجدهم إسماعيل ابن خليل الله إبراهيم عليهما السلام.

وتربى ذلك الغلام الذكي في حِجر جده، وبعده انتقلت كفالته إلى عمه أبي طالب، الذي أصبح سيد مكة بعد وفاة أبيه، فأحسن معاملته وكان محل حب ورعاية وتقدير.

وعاش محمد ﷺ في شعاب مكة وسهولها كما يعيش غلمانها: يرعَون الماشية ويقضون أوقاتهم بعمل مفيد، غير أنه لم يشارك الغلمان في ما فيه إثم أو عار، فما لعب معهم بالميسر، ولا شاركهم في بعض الألعاب التي فيها كشف للعورات، وما حضر مجلس اللهو، وما شاركهم في عبادة الأوثان...

ونما ذلك الغلام وترعرع في مكة وفي بيت عمه أبي طالب كأنه واحد من أعز أبنائه. وقد أذن له مرة أن يصحبه إلى الشام في تجارة له، فرأى من نجابته وأخلاقه ما جعله يزداد حباً له وإكراماً واحتراماً...

ولما جاوز العشرين من عمره دعته تلك المرأة الشريفة الثرية أن يقوم إلى الشام في تجارة لها بأموالها، وله حصة معلومة من الأرباح، فقبل

العرض وتوجه إلى الشام بتلك التجارة الوافرة مصطحباً معه «ميسرة» غلام خديجة يخدمه ويعينه.

وقد رأى ميسرة في محمد ﷺ الأمانة والصدق ومكارم الأخلاق وحسن التعامل ما لم يره في غيره من جميع من رافقهم من التجار، فذكر ذلك لسيدته خديجة، فازدادت إعجاباً به واحتراماً، ولا سيما حينما رأت الأرباح قد تضاعفت عما تعودت عليه من شركائها السابقين. وانتقل ذلك الإعجاب والاحترام إلى رغبة في الزواج، فكان لها نِعم الزوج المخلص الأمين، رزقه الله منها البنات والبنين، وانعقدت بينهما المودة والإخلاص، ولم يتزوج عليها إلى أن وافاها الأجل قبل الهجرة بثلاث سنوات، وكانت تشجعه وتقوي قلبه وتعينه على تحمل النوائب والأحزان، وكانت أول المؤمنين به على الإطلاق، حينما أبلغها ما سمعه في غار حراء وما رآه.

عموم بعثته ﷺ

إذا كانت رسالات الأنبياء السابقين ـ عليهم السلام ـ مقصورة على أقوامهم لا تتعداهم إلى من سواهم، فإن رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد ﷺ كانت للناس عامة، عرباً وعجماً، متوغلة في أقاصي القارات، صالحة لكل زمان ومكان، مستمرة باقية على مدى الحياة الدنيا، لا يعتريها نسخ ولا تحريف ولا انمحاء ولا نسيان، رسالة رحمة للعالمين: ﴿قُلْ يَا أَيُّها النَّاسُ إنِّي رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ جَمِيْعاً﴾[٢٥١].

---

[٢٥١] سورة الأعراف: ١٥٨.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلّا رَحْمةً لِلْعالَمِيْنَ﴾[٢٥٢].

لقد كان ﷺ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً. ولقد أكرمنا الله به وشرّفنا باتباعه، ولهذا فكلما تجددت الذكريات العطرة في التاريخ الإسلامي المشرق شعرنا بالحاجة إلى ربط أبنائنا بتلك الصور المشرقة، والأخذ بأيديهم للتعرف إلى جوانبَ من هذا التاريخ العظيم. ولا شك في أن السيرة النبوية هي قمة هذا التاريخ، ولهذا فمن المهم في حياتنا الحاضرة الاستفادة من المناسبات التاريخية العظيمة في شد انتباه الناس عامة، والناشئة خاصة، واسترعاء انتباههم إلى أمجاد الإسلام وسيرة سيد المرسلين ﷺ، الذي أحبه الله وعلمنا حبه وأمرنا بهذا الحب، حتى قرن مع اسمه اسم رسوله ﷺ: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[٢٥٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢٥٤].

لقد أحبته المخلوقات كلها:

ـ أحبه الجماد. يقول ﷺ: ﴿هذا أُحُدٌ، وَهو جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ﴾[٢٥٥]، نعم، لقد غرس الله سبحانه وتعالى حب الرسول ﷺ في الجمادات.

ـ وأحبه النبات. فقد كان ﷺ يخطب قائماً معتمداً على جذع نخل، فإذا طال وقوفه ﷺ، أو شعر بتعب وضع يده الشريفة على ذلك الجذع. ولما كثر

---

[٢٥٢] سورة الأنبياء: ١٠٧.
[٢٥٣] سورة آل عمران: ٣١.
[٢٥٤] سورة الأحزاب: ٥٦.
[٢٥٥] صحيح مسلم، برقم ١٣٩٢.

عدد المصلين وضاق المسجد بأهله أشار بعض الصحابة أن يضعوا له ﷺ منبراً، فلما وضع النبي ﷺ المنبر في موضعه وخرج من باب الحجرة الشريفة يوم الجمعة يريد المنبر ليخطب عليه، وجاوز الجذع الذي كان يخطب عنده ولم يقف عنده، وصعِد المنبر، إذا بالجذع يحن إليه بصوت بكاء كبكاء الطفل، يسمعه كل من كان في المسجد، حتى ارتجّ المسجد ولم يهدأ، فتأثر الصحابة، رضوان الله عليهم وتعجبوا لذلك تعجباً شديداً. فنزل ﷺ عن المنبر وأتى الجذع، فوضع يده الشريفة عليه ومسحه ثم ضمه ﷺ بين يديه إلى صدره الشريف حتى هدأ، ثم خيره، ﷺ بين أن يكون شجرة في الجنة وبين أن يعود شجرة مثمرة في الدنيا، فاختار الجذع أن يكون شجرة في الجنة.

ـ كما أحبه الحيوان وتأدب معه، فلقد روت أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها أنه: ﴿كان لآل رسول الله ﷺ وحش، فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب واشتد وأقبل وأدبر، فإذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل ربض فلم يتمرمر مادام رسول الله ﷺ في البيت، كراهية أن يؤذيه﴾[٢٥٦].

فإذا كان الجماد والنبات والحيوان قد أحبه، أفلا نحبه باتباعه واتباع سنن خلفائه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ الآية.

﴿عليكم بسنّتي وسنّةِ الخلفاءِ المَهديّين الرّاشدين ...﴾[٢٥٧].

---

[٢٥٦] رواه أحمد من طريقين، وأبو يعلى، والبزّار، والطبراني في الأوسط، والدار قطني برجال الصحيح، قال بن كثير ـ رحمه الله عن سند أحمد: هذا الإسناد على شرط الصحيح، وهو حديث مشهور، والله تعالى أعلم.

[٢٥٧] تقدم تخريجه برقم ٢٨.

ـ إن الاحتفاء بالسيرة النبوية العطرة وربط أبنائها بها واجب علينا في كل زمان ومكان.

ـ إن الاحتفاء برسول الله ﷺ يحتاج إلى ربط الإنسان المسلم بهذه السيرة العطرة، وإطاعته للرسول ﷺ ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطاعَ اللهَ﴾[٢٥٨]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢٥٩].

ولا شك في أن تتبع السيرة النبوية والحرص على تجسيد حياته ﷺ، وجعله القدوة لنا في كل أمورنا، هو أول طريق النجاح، فنحن نؤمن به، ﷺ مع إيماننا بالله تعالى، وهذا الإيمان يأخذ بأيدينا نحو تجارة رابحة وفوز عظيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾[٢٦٠].

ومن أول مظاهر الاحتفاء برسول الله ﷺ كثرة الصلاة والسلام عليه، لأن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا أن نصلي عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢٦١].

والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ نعمة عظمى أنعم الله بها علينا؛ لأننا عندما نصلي عليه يصلي الله سبحانه وتعالى علينا، كما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

---

[٢٥٨] سورة النساء: ٨٠.
[٢٥٩] سورة آل عمران: ١٣٢.
[٢٦٠] سورة الصف: ١٠، ١١.
[٢٦١] سورة الأحزاب: ٥٦.

﴿مَن صَلَّى عَلَيَّ واحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عليه عَشْرًا﴾[٢٦٢].
ومعنى هذا أن الله، سبحانه وتعالى، قد جعل صلاتنا عليه سبباً لرحمته لنا وصلاته علينا.

ـ إن الاحتفاء به ﷺ ضرورة في هذه الأيام بعد أن أصاب الأمة الإسلامية ما أصابها من فتن، وما تعرضت له من غزو فكري، وإن الحب الشرعي أمر مطلوب ومفروض حتى يكون النبي ﷺ أحب إلى الفرد المسلم من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين.
ـ ومن أهم مظاهر الاحتفاء به ﷺ أن نجعله القدوة الأسوة الحسنة التي نسير على هداها، وأن نَعلم ونُعلّم أبناءنا وأهلنا بأنه ﷺ صفوة الأنبياء وخاتم المرسلين، بعثه الله رحمة للعالمين، وأنه ﷺ كان معروفاً بالصدق والأمانة والأخلاق العظيمة، فهو الصادق الأمين. وهكذا فمحبته واجبة علينا نحن المسلمين.

---

[٢٦٢] صحيح مسلم، برقم ٤٠٨.

الولي والمولى واحد

* الشاب الصالح مؤمن بالله: ﴿وَاللهُ وَلِيُّ المُؤْمِنِيْنَ﴾[٢٦٣].

﴿اللهُ وَلِيُّ الّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ﴾[٢٦٤].

* الشاب الصالح المؤمن بالله تقيٌّ: ﴿وَاللهُ وَلِيُّ المُتَّقِيْنَ﴾[٢٦٥].

نعم. ﴿...فَاللهُ هُوَ الوَلِيُّ﴾[٢٦٦].

* الشاب الصالح يتولاه الله، ويقول بلسان حاله:

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[٢٦٧].

- والولي والمولى بمعنى واحد. قال تعالى:

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(سورة الأنفال: ٤٠.).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[٢٦٨].

سؤال: هل ولي المؤمنين هو الله وحدَه سبحانه وتعالى؟

١ - الجواب في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[٢٦٩].

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[٢٧٠].

---

[٢٦٣] سورة آل عمران: ٦٨.
[٢٦٤] سورة البقرة: ٢٥٧.
[٢٦٥] سورة الجاثية: ١٩.
[٢٦٦] سورة الشورى: ٩.
[٢٦٧] سورة الأعراف: ١٩٦.
[٢٦٨] سورة محمد: ١١.
[٢٦٩] سورة المائدة: ٥٥.
[٢٧٠] سورة الأنفال: ٧٢.

سؤال: هل من خوف أو حزن على أولياء الله؟

٢ ـ والجواب في قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢٧١].

سؤال: هل الضالون والعاملون سُوءاً لهم ولي؟

٣ ـ الجواب في قوله تعالى:

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ﴾[٢٧٢].

وفي قوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[٢٧٣].

وفي قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٢٧٤].

سؤال مهم: ما وصية الله سبحانه وتعالى للمؤمنين؟

٤- والجواب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[٢٧٥]، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ...﴾[٢٧٦]، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٧٧].

لأن الذين يتخذون الكافرين أولياء هم المنافقون. قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ

---

[٢٧١] سورة يونس: ٦٢.
[٢٧٢] سورة الشورى: ٤٤.
[٢٧٣] سورة الكهف: ١٧.
[٢٧٤] سورة النساء: ١٢٣.
[٢٧٥] سورة الممتحنة: ١.
[٢٧٦] سورة المائدة: ٥١.
[٢٧٧] سورة النساء: ١٤٤.

بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۞ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ للَّهِ جَمِيعاً﴾[٢٧٨].

أيها الإخوة: الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿...وَلَنْ يَجْعَل الله لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[٢٧٩].

إن كل مؤمن مسلم، ولكن ليس كل مسلم مؤمناً. أما نحن فإنا مسلمون؛ إذ لو كنا مؤمنين لانتهينا بما نهانا الله عنه.

نسأل الله أن يتولانا في من تولى، وأن يعفو عنا ويغفر لنا ويرحمنا، اللهم ﴿أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٢٨٠]. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

[٢٧٨] سورة النساء: ١٣٨، ١٣٩.
[٢٧٩] سورة النساء: ١٤٣.
[٢٨٠] سورة البقرة: ٢٨٦.

فرقة الأكباد

* قالت أم سلمة زوج النبي ﷺ:

كان عندي النبيُّ ﷺ، ومعي الحسين، فدنا من النبي ﷺ، فأخذته فبكى، فتركته فدنا منه، فأخذته فبكى. فقال له جبريل: أتحبه يا محمد؟ قال: نعم. قال: أمَا إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها. فبسط جناحيه، فأراه منها. فبكى النبي ﷺ[٢٨١] بحرقة القلب ولوعة النفس...

ـ قتل الحسين يوم الجمعة، يوم عاشوراء، عام واحد وستين للهجرة بالطف من شاطئ الفرات، بموضع يقال له كربلاء (كَرْبٌ وبلاءٌ)، وهو ابن ست وخمسين سنة. قتله سنان بن أنس وسُميّة، وذهبوا برأسه إلى عبيد الله بن زياد فوضعوه بين يديه. قال الطبري: قتله رجل من مذحج وحز رأسه وانطلق به إلى عبيد الله وهو يقول:

أوقر ركابي فضة وذهبا إني قتلت الملكَ المحجبا

خيرَ عباد الله أمّــاً وأبــا وخيرهم إذ ينسبون نسبا

وأوفده إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس، فوضع رأسه بين يديه وعنده أبو برزة الأسلمي فجعل ينكت بالقضيب على فيه ويقول:

يفلقن هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له أبو برزة: «ارفع قضيبك، فوالله لربما رأيت فا رسول الله ﷺ على

---

[٢٨١] البداية والنهاية/الجزء السادس، الإخبار بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما.

فيه يلثمه». وسرح عمر بن سعد بن أبي وقاص بحرمه وعياله إلى عبيد الله، ولم يكن بقي من أهل بيت الحسين إلا غلام، كان مريضاً مع النساء، فأمر به عبيد الله ليقتل، فطرحت زينب نفسها عليه وقالت: «والله لا يقتل حتى تقتلوني»، فرق لها فتركه وكف عنه.

قال فجهزهم وحملهم إلى يزيد، فلما قدموا عليه جمع من كان بحضرته من أهل الشام، ثم أدخلوهم، فهنؤوه بالفتح، وقال رجل منهم أزرق أحمر، ونظر إلى وصيفة من بناتهم، فقال يا أمير المؤمنين هب لي هذه. فقالت زينب: «لا والله، ولا كرامة لك ولا له، إلا أن يخرج من دين الله». قال فأعادها الأزرق، فقال له يزيد: كف عن هذا. ثم أدخلهم على عياله فجهزهم وحملهم إلى المدينة، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها واضعة كمها على رأسها تلقاهم وهي تبكي وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم[٢٨٢]

وقيل أجهز عليه خولة بن يزيد الأصبحي، واحتز رأسه، وأتى به عُبيد الله وهو يرتجز الأبيات السابقة، فقال له ابن زياد: إذا كان خيرَ الناس أماً وأباً وخيرَ عبادِ الله فلمَ قتلته؟ قدِّموه فاضرِبوا عُنُقَه، فضُرِب عنقُه.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

﴿الحسنُ والحُسينُ سيِّدَا شبابِ أهلِ الجنَّةِ وأبوهما خيرٌ منهما﴾[٢٨٣].

---

[٢٨٢] تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ٢٨٩/٣.

[٢٨٣] السلسلة الصحيحة، للألباني، ٤٢٨/٢. أخرجه الحاكم، برقم ٤٧٧٩.

﴿لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾[٢٨٤]

كل عمل بحساب وميزان، لأن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر عمل أحسنه المسلم، بل له عند الله بقدر عمله: له مثوبة ما أدى، وعليه وِزرُ ما فرّط: ﴿وَكُلُّ صَغِيْرٍ وَكَبِيْرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[٢٨٥]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾[٢٨٦].

عن السيدة عائشة، رضي الله عنها، أنَّ رجُلًا قعدَ بينَ يدَيِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ لي مَملوكِينَ يُكَذِّبونَني ويخونونَني ويعصونَني، وأشتُمُهُم وأضربُهُم فَكَيفَ أَنا منهُم؟ قالَ: يحسَبُ ما خانوكَ وعصوكَ وَكَذَّبوكَ وعقابُكَ إيَّاهم، فإن كانَ عقابُكَ إيَّاهم بقدرِ ذنوبِهِم كانَ كفافًا، لا لَكَ ولا عليكَ، وإن كانَ عقابُكَ إيَّاهم دونَ ذنوبِهِم كانَ فضلًا لَكَ، وإن كانَ عقابُكَ إيَّاهم فوقَ ذنوبِهِم اقتُصَّ لَهُم منكَ الفضلُ. قالَ: فتَنحَّى الرَّجلُ فجعلَ يبكي ويَهْتِفُ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: أما تقرأُ كتابَ اللَّهِ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا...﴾[٢٨٧] الآيةَ. فقالَ الرَّجلُ: واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ما أجدُ لي ولَهُم شيئًا خيرًا من مفارقتِهِم، أشهدُكَ أنَّهم (يعني العبيد) أحرارٌ كلُّهم[٢٨٨].

---

[٢٨٤] سورة طه: ٥٢.
[٢٨٥] سورة القمر: ٥٣.
[٢٨٦] سورة الزلزلة: ٧، ٨.
[٢٨٧] سورة الأنبياء: ٤٧.
[٢٨٨] صحيح الترمذي، برقم ٣١٦٥، ومسند أحمد ٢٨٠/٦، والبزار برقم ١٠٧، باختلاف يسير.

«أشهدك أنهم أحرار كلهم».

أرأيت دقة الحساب الإلهي في الآخرة؟

إنه الجواب الكافي على الأسئلة التالية:

١ـ هل يقبل الله صيام تارك الصلاة؟

٢ ـ هل يقبل الله صدقة تارك الصلاة؟

٣ـ هل يقبل الله المغتاب أو الكذاب أو الناظر إلى المرأة الأجنبية بشهوة؟

نعم. إن الله تبارك وتعالى جواد كريم، لطيف بعباده، خبير بهم، بصير بأعمالهم... إنه يقبل صيام تارك الصلاة، ويقبل صدقة تارك الصلاة، ويقبل صيام المغتاب، ذلك بأن للصلاة أثرَها وثوابَها، كما أن للصوم أثرَه وثوابه، ولكل ركن عقابه وثوابه عند الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ﴾[٢٨٩]، وكل عمل بحساب وميزان ﴿لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾[٢٩٠].

إنّ مِسطح بن أثاثة كان من المهاجرين، وكان فقيراً، وكانت أمه ابنة خالة أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وكان أبو بكر ينفق عليه لفقره وقرابته وهجرته، وكان مسطح هذا ممن تكلم في أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، بالإفك المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الّذينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُم﴾(سورة النور: ١١.)، فلما نزلت براءة أمّنا عائشة، رضوان الله عليها، حلف أبو بكر ألّا ينفق على مسطح، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ

---

[٢٨٩] سورة الرعد: ٨.

[٢٩٠] سورة طه: ٥٢.

وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢٩١].

إن قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ دليلٌ على أن العفو والصفح عن المسيء المسلم من موجبات غفران الذنوب، ولذا لمّا نزلت قال أبو بكر: «بلى والله نحب أن يغفر لنا ربنا»، ورجَع، رضي الله عنه، يُنفق على مِسطَح.

إن هذه الآية أكبر دليل على أن كبائر الذنوب لا تحبط العمل الصالح؛ لأن هجرة مسطح بن أثاثة من عمله الصالح، وقذفه لعائشة من الكبائر، ولم يبطل هجرته؛ لأن الله تعالى قال فيه بعد قذفه لها ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فدلّ ذلك على أن هجرته في سبيل الله، لم يُحبطها قذفُه لعائشة، رضي الله عنها، وكذلك سائر الكبائر، فإنه لا يحبط الأعمال، إلا الشرك بالله، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٢٩٢].

* عندنا آية مهمة جداً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[٢٩٣].

بهذه الآية تجتمع أطراف النصوص ويفسّر بعضها بعضاً. فنصوص الوعد بالجنة للموحدين العُصاة الذين يقترفون الكبائر هي بعد تطهيرهم في النار حيناً من الدهر، أو بمغفرة الله، سبحانه وتعالى، لهم. ونصوص الوعيد

---

[٢٩١] سورة النور: ٢٢.
[٢٩٢] سورة الزمر: ٦٥.
[٢٩٣] سورة النساء: ٤٨.

على فاعل المعصية قد يعاقبه الله، وقد يغفر له، أو تكفّرها طاعاتُه أو البلاءُ الذي يُصيبه في الدنيا، أو غير ذلك من الأسباب.

ولا ريب في أنّ فهم أصحاب القرون الثلاثة الأولى المشهود لهم بالخيرية من الرحمة المهداة؛ سيدنا محمد ﷺ، ومَن نهج منهجَهم، هو الفهم السديد، وهو مقتضى النصوص الواردة المتواترة في إقامة الحدود على مرتكبي الكبائر، إذ لو كانوا كفاراً لوجب قتلُهم، ولغير ذلك من الدلائل. ولا شك في أن هذا الفهم هو الذي يعصم المجتمع من التمزق والمشاغبات والفتن الداخلية الناجمة من رؤية الخوارج وفهمهم...

«إن اجتناب الكبائر يكفر الله بها الصغائر»[٢٩٤]. قال سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[٢٩٥].

إن الخلاف في فروع العبادات والمعاملات شيء طبيعي، وصاحبه مأجور على الحالين من خطأ وصواب ـ كما هو معلوم ـ ولكن بعضهم يجعل هذا الخلاف مثار فرقة وهجاء، وهذا يغاير منهج القرآن الكريم الذي يذكر عن داود وسليمان ـ أنهما اختلفا في حكمٍ أصدراه في مسألة واحدة: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[٢٩٦]. وهكذا فمسح الوجه بعد الدعاء لا ينبغي أن ينكر على من يفعله، لماذا؟ لأن الحديث ضعيف! ومن قال بضعفه؟ ابن تيمية، رحمه الله... غير أنّ ابن حجر قال في «بلوغ المرام»:

---

[٢٩٤] أضواء البيان ١١٨/٤.
[٢٩٥] سورة النساء: ٣١.
[٢٩٦] سورة الأنبياء: ٧٩.

«إن الحديث حسن، ومِن سُنة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه كان لا يحطّ يديه بعد الدعاء قبل أن يمسح وجهه»، وعندنا قاعدة: ﴿عليكم بسنّتي وسنّةِ الخلفاءِ المَهديّين الرّاشدين تمسّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنواجذِ﴾[٢٩٧].

إننا في حاجة إلى أن نفهم في هذا الزمان هذه الآيات:

- ﴿...أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٢٩٨].
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾[٢٩٩].
- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٣٠٠].
- ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٣٠١].

إنه يقوى في نفسي أن أرى المحدِّث شامة بين الناس، ثوبه نظيف جميل، وشعره ممشط مقصوص، باسط الوجه، يبعث في الناس الأمل والرجاء، ويربِطهم بمجتمعهم وبأمتهم، يقول لهم:

* أمتنا لا بد أن تجمع بين إيمان واضح وعمل صالح لكي يمكّن لها وتسعَد لآخرتها.

* إن العلم النظري بوحدانية الله وتطهير العقيدة لا يكفي، فقد كان إبليس يعلم أن الله وحدَه، غير أنه رفض الخضوع له، والامتثال لأمره فهوى...

---

[٢٩٧] تقدم تخريجه برقم ٢٨.
[٢٩٨] سورة الشورى: ١٣.
[٢٩٩] سورة الصف: ١٤.
[٣٠٠] سورة الحجرات: ١٠.
[٣٠١] سورة آل عمران: ١٠٣.

* إن الإسلام منهج متوازن، فهو يوازن بين الروح والجسم، وبين العقل والقلب، بين الدنيا والآخرة، بين المثال والواقع، بين النظر والعمل، بين الغيب والشهادة، بين الحرية والمسؤولية، بين الفردية والجماعية، بين الاتباع والابتداع.

نعم إنه منهج وسط لأمة وسط، ويمتاز باليسر والسهولة والسماحة. لذلك لما رأى سيدنا رسول الله ﷺ مبالغة عبد الله بن عمرو في الصيام والقيام والتلاوة رده إلى الاعتدال قائلاً: ﴿فلا تَفْعَلْ، صُمْ وأَفْطِرْ، وقُمْ ونَمْ، فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا (أي في الراحة)، وإنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا (أي في النوم)، وإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا (أي في الإمتاع والمؤانسة والتواصي بالنصح والصبر)﴾[٣٠٢].

وزاد في رواية: «ولزَورك عليم حقاً» (أي في الإكرام والمشاركة).

ثم صدر التوجيه منه ﷺ: ﴿فأعطِ كلَّ ذي حقٍ حقَّه﴾.

* إن الإسلام فرصة العالم الوحيدة للخروج من بؤرة التعاسة والشقاء إلى روضة السعادة والهناء، ومن هنا كانت مسؤولية الدعاة دقيقة وكبيرة في تقديم الإسلام إلى العالم رسالة حضارة وعدالة وحرية، ورسالة سلام وأمان، رسالة رحمة وخير، رسالة تملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جَوراً وظلماً...

---

[٣٠٢] صحيح البخاري، برقم ٥١٩٩.

* إن دعاة الإسلام، لكي يكونوا في مستوى هذا الدور العالمي، لا بد أن تمتاز دعوتهم بخصائصَ، لعل أهمَّها:

ـ الربانية: بأن تكون خالصة لله.

ـ العلمية: بأن يعرفوا طبيعة العصر كي يكونَ العمل في مستوى العصر.

ـ الواقعية: بأن يعالجوا الواقع بعُمق وشمول وتوازُنٍ من دون تفريطٍ ولا إفراط ولا ترخص ولا غلو.

ـ الحنيفية: السمحة بأن تكون إسلامية وليست تعصبية أو مذهبية.

ـ الجماهيرية: بأن تكون الدعوة عامة للعالم كافةً.

ـ الإنسانية: بأن تكون متابعة للبيان التاريخي الذي قدمه سيدنا رسول الله ﷺ في حجة الوداع: ﴿فإنَّ دِمَاءَكُمْ، وأَمْوَالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ، وأَبْشَارَكُمْ، علَيْكُم حَرَامٌ﴾[٣٠٣].

* هناك ثلاث قضايا لا ينبغي لنا تجاهلُها: قضيتان من الخارج، وقضية من الداخل:

١ ـ لا بد من إدراك المستوى السياسي والاقتصادي الذي يدور من حولنا، نحن أمةَ الإسلام التي تملك ثمانين في المئة من ثروات العالم. ...لا بد من الانسحاب من كل المؤسسات التي تدّعي العالمية، من مثل: الأمم المتحدة، وصندوق النقد، والبنك الدولي عامة، ومنظمة التجارة العالمية خاصة؛ لأنها شريكة في مؤامرة عالمية تسعى لفرض سيطرة العالم المتقدم

[٣٠٣] صحيح البخاري، برقم ٧٠٧٨.

الغربي على دول العالم الثالث... ولعل الوصول إلى هذه القطيعة يكون من طريق المواجهة الجماعية والسعي إلى إنشاء سوق عربية أو إسلامية مشتركة...

٢ ـ لا بد من إدراك صراع الحضارات، الذي يستهدف تطويق أمم شعوب بعينها... أليست الأقمار الاصطناعية اليوم تحدياً؟ أليس التنصت اليوم تحدياً؟

٣ـ لابد من إدراك أن موجة الإرهاب والدموية والعنف التي تمارس داخل الأوطان، وضد الأبرياء، مسلمين كانوا أم غير مسلمين، ليست من طبيعة الإسلام، بل هي حالة شاذة، دفع إليها الجهلُ بحقيقة الإسلام عقيدةً وشريعة، كما دفع إليها الجهل بالسنن والنواميس الكونية، وبالنهج الذي سار عليه الأنبياء والمرسلون جميعاً، والذي أكده خاتمهم، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

أما ممارسة الإرهاب في مواجهة الكيان الصِّهيَوني بوصفه حقاً من حقوق الدفاع عن النفس والأرض والمصير والعرض، كالذي تمارسه الانتفاضة في فلسطين المحتلة، وكالذي تمارسه المقاومة في الجنوب اللبناني، فإن ذلك طيب، بل محمود. إننا - معشر المسلمين - لا نحب الحروب، ولا نعشق ما فيها من خراب ودمار. بل إننا نؤثر الاستقرار بين الأهل والأحبة، ومرحباً بالسلام مع صون الحقوق واحترام العقيدة. أما القتال

فيكون دفاعاً عن الحرمات والعقائد. وما العمل إذا كنا نتعامل مع قوم لا يرضَون عنا حتى ندع ما لدينا وندخل في ملتهم؟

إن القتال هنا لابد منه، ولن نُسأل عنه، فالمسؤول عنه غيرنا: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٣٠٤]. هذا حكمٌ خالدٌ إلى قيام الساعة، وكل ما ورد في القرآن الكريم من ألفه إلى يائه يتفق مع هذا الحكم.

* إن الإسلام أبعد الناس عن كراهية الآخرين، وذلك إذا كانت نفوسهم سهلة، وسرائرهم نقية ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[٣٠٥].

إنه يمكن أن تقوم شركة تجارية بين مسلم وغير مسلم، أساسها الأمانة والصدق، ويمكن أن تتكون أسرة من مسلم وأخرى غير مسلمة، على قاعدة الود المتبادل والرحمة، ويمكن أن تنشأ علاقات إنسانية حميمية بين أتباع أديان مختلفة بعيداً عن التظالم والغش والبغضاء، ولتختلف الأديان فتلك مشيئة الله ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٣٠٦].

إننا أمة تحترم نفسها، ومن حقها أن يحترمَها الآخرون، وأن يقيموا علاقاتِهم معها على العدل، فهل ذلك صعب؟

* إن المسلمين إذا تنازعوا فشِلوا وذهبت قوتهم، ومرجع ذلك الفشل والضعف هو عصيان الله ورسوله ﷺ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا

---

[٣٠٤] سورة البقرة: ١٩٠.
[٣٠٥] سورة الرحمن: ٦٠.
[٣٠٦] سورة هود: ١١٩.

فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٣٠٧].
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣٠٨].

* أمتنا الإسلامية أمة باقية لن تموت ولكنها مريضة مشلولة، غير أنها ستقف على رجليها، وسوف تلبَس ثوب العافية قريباً بإذن الله، والمستقبل للإسلام، وها هي ذي آية عظيمة تبشّرنا بظهور هذا الدين حاكماً على جميع الأديان: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٣٠٩]، وها هي ذي ثلاثة أحاديث شريفة لسيدنا رسول الله ﷺ:

الحديث الأول: ﴿إنَّ اللَّهَ زَوَى لي الأرْضَ (أي جَمَعَ وَضَمَّ)، فَرَأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها، وإنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لي مِنْها﴾[٣١٠]

الحديث الثاني: ﴿ليَبْلُغن هذا الأمر ما بلغ اللَّيل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّين، بِعِزّ عَزِيزٍ أو بِذُلّ ذَليلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر﴾[٣١١].

الحديث الثالث: ﴿... سُئِلَ رسول الله ﷺ أيُّ المدينتيْنِ تُفتحُ أولًا؛ أقسطنطينيّة

---

[٣٠٧] سورة الأنفال: ٤٦.
[٣٠٨] سورة الأنفال: ٧٠.
[٣٠٩] سورة التوبة: ٣٣.
[٣١٠] صحيح مسلم، برقم ٢٨٨٩.
[٣١١] رواه أحمد ١٠٣/٤، والطَّبراني ٥٨/٢، والحاكم ٤٧٧/٤.

أو روميّة؟ فقال ﷺ: مدينةُ هِرَقْلَ تُفتَح أوّلاً، يعني قسطنطينية»[٣١٢]. لقد تحقق فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح العثماني ـ كما هو معروف ـ ولذلك بعد أكثر من ثمانمئة عام من إخبار النبي ﷺ بالفتح. أما رومية فهي روما، كما في (معجم البلدان) لياقوت الحموي، وهي عاصمة إيطاليا اليوم، التي فيها مضخة النصرانية ومنبعها، وفيها الفاتيكان... راجع مقالة «عالمية الإسلام» في الجزء الأول من هذا الكتاب.

* ألسنا أمة أخرجت للناس لهداية الناس؟

إن المسلمين، أفراداً وحكاماً ودعاة، إن أرادوا أن يكون الإسلام هو دين المستقبل فعليهم أن يمَسوا موضع الخلل، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه.

ـ إن الله تبارك وتعالى له أقوام يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرّهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحوّلها إلى غيرهم.

ـ إن هناك درجة عند الله أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، إنها إصلاح ذات البين، فإن فساد البين هي التي تحلق الدين.

ـ إن طاعة الإمام حق على المرء المسلم ما لم يأمر بمعصية.

ـ إن العالم إذا أخطأ كلمة «لا أدري» وكلمة «الله أعلم» أصيبت مقاتله، ولأنْ يعيشَ المرء جاهلاً خيرٌ من أن يقول على الله ما لا يعلم، ولعل «لا أدري، والله أعلم» هي التي تحمي أمتنا الإسلامية من جُرأة من يجسر

[٣١٢] رواه أحمد ١٧٦/٢، والدارمي ١٣٧/١، والحاكم ٤٦٨/٤.

على ادعاء العلم بكل شيء ولم يخش سيدنا رسول الله ﷺ على الدين إلا من آفته: فقيهٍ فاجر، وإمام جائر، ومجتهد جاهل.

ـ إن الدعاة إلى الله هم الذين يدعون إلى الله على بصيرة ضمن حقل معرفتهم، باذلين جهودَهم أن يكون اجتهادهم واحداً، واجتهاداً لزماننا كما اجتهد الأولون لزمانهم، فإن واقع اليوم غير واقع الأمس.

ـ طلبة العلم الشرعي الصغار المبتدئون القادمون إلى الغرب من البلاد العربية والإسلامية عليهم التزام الصمت والهدوء والأدب في الحديث... عليهم تعلم اللغة الأجنبية، والتعرف إلى البيئة الجديدة، ليكونوا فكرة واضحة عن ثقافة غير المسلمين عامة، والثقافة الاجتماعية خاصة، ويفهموا دستور الحكومة، لكي يعرفوا الفتوى الخاصة بوصية المسلمين الذين يعيشون هنا منذ نصف قرن.

عليهم أن يعلموا أن ٩٥ في المئة من المسلمين في الكرة الأرضية يلتزمون مذهباً إسلامياً من المذاهب الأربعة، وأصحاب هذه المذاهب من أهل القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية، وهم: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل. عليهم أن يتمكنوا من علوم اللغة العربية ويشتغلوا بالقرآن الكريم أكثر من اشتغالهم بالحديث الشريف، وعليهم أن يعلموا أن الاجتهاد في الأمور الفرعية لا ينقض بمثله؛ لأنه لا اجتهاد أولى من آخر. ولو صح نقض الاجتهاد بمثله لما حصل اجتهاد في الدنيا. هو لا ينكر المختلف فيه، وإنما ينكر المتفق عليه، إذ لا إنكار في مسائل الخلاف.

الشيخ القاسمي حكم على ضعف الأحاديث الخاصة بالنصف من شعبان، ولكن الألباني جزم بصحتها، ونبّه إلى تعجل القاسمي.

ـ أما الأغنياء فليعلموا أنهم فقراء إلى الله، وليعلموا قول الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾[٣١٣] وليعلموا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٣١٤].

نعم. لقد شغلتهم الحياة بالمكاثرة بالمال والولد والجاه والسلطان والبنيان، وكل أولئك نِعَمٌ تحتاج إلى شكر حقيقي؛ فيزكون أموالهم ويتصدقون على فقراء الناس... ذلك هو قيد النعم وحارسها: الزكاة والصدقات... نعم، إن من يفتن بالمال يتشبث بالدنيا، فلا يذكر هاذم اللذات ولا يعد للموت عدته، وصدق رسول الله ﷺ: ﴿إنّ لِكُلِّ أمّةٍ فِتنةً، وفتنةُ أمَّتي المالُ﴾[٣١٥].

* إن بلاء أمتنا الإسلامية يكمن في آفتين: في الجهل، وفي الظلم، فلينتبه الحكام إلى حاشياتهم وبطاناتهم، وليحرِصوا على انتقاء الصالحين الناصحين الدالين لهم على الخير... ولينتبه العلماء إلى فتواهم السياسة قبل الدينية، من قبل أن تقرض شفاههم بمقاريض من نار في يوم عصيب؛ يومِ الحسرة والندامة... ولينتبه الدعاة إلى أسفارهم ورحلاتهم، سائلين

---

[٣١٣] سورة الحديد: ٢٠.
[٣١٤] سورة المنافقون: ٩.
[٣١٥] سبق تخريجه برقم ٧٧.

ضمائرهم عن علة سفرهم ورحلاتهم، وألا يتكلموا على أنفسهم وألا يحجّموا أشخاصهم، إنهم عند الله أولو علم، وورثة الأنبياء... ولينتبه الأغنياء إلى مصدر أموالهم من أين أتت؟ وكيف صرفت؟! ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[٣١٦].

روي أن أعرابياً لما سمع قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾[٣١٧] قال: بُعثوا وربِّ الكعبة، فقيل له في ذلك، فقال: لأن الزائر لا بد أن يرتحل.

* إن التقوى ثمرة النجاح، وإن أول ملامح قطف الثمرة إنما هو الدعاء، والدعاء مع العمل والسعي هو العبادة، فإن للصائم عند فطره دعوة لا ترد، وإن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم مجلساً إمام عادل، وإن اتقاء دعوة المظلوم، ولو كان كافراً، ليس بينها وبين الله حجاب. وما أعظم الفرقَ بين من نام وأعينُ الناس ساهرة تدعو له، وبين من نام وأعين الناس ساهرة تدعو عليه! أليس من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿... وانصُرني على من ظلمني وأرني منه ثأري﴾؟! إنّ المتحابّين في جلال الله، تبارك وتعالى، لهم منابرُ من نور يغبِطهم النبيون والشهداء. ألم يأن للذين يحكموننا، وللذين يدعون إلى الإسلام، وللذين يتفاخرون بتكديس المال أن تخشع قلوبهم لقول الله لهم يوم القيامة، كما جاء في الحديث

---

[٣١٦] سورة الصافات: ٢٤.
[٣١٧] سورة التكاثر: ١.

القدسي: ﴿ أيْنَ المُتَحابُّونَ بجَلالِي؟ اليومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي﴾[٣١٨].

ـ لا بد من توبة المسلمين جميعاً إلى الله، كلٌّ بحسب موقعه ومكانته أفراداً وجماعاتٍ. ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[٣١٩].

ـ لابد من لزوم المسلمين جميعاً جانب الاستغفار حتى يجعلَ الله لهم من كل هَمّ فرَجاً، ومن كل ضِيقٍ مخرجاً، ويرزقَهم هيبة وتمكيناً ونصراً على عدوهم، كل أولئك يكون مقروناً بالتوكل الجاد إلى الله، آخذين حياتهم من دستور الحياة القويم: القرآن الكريم وسنة الرسول الكريم، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وسنةِ الخلفاء الراشدين، رضوان الله عليهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

[٣١٨] صحيح مسلم، برقم ٢٥٦٦

[٣١٩] سورة طه: ٨٢.

الغنــى والفقـر

الفهم الخاطئ للغنى والفقر قديم بين الناس، إذ يحسبون أن الإنسان إذا كان غنياً فإنما أحبه الله، وإنه إذا كان فقيرا أهانه الله: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۞ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[٣٢٠].

إن هذه النظرية خاطئة تماماً؛ لأن سؤالاً يتبادر إلى الأذهان دائماً، هذا السؤال هو: أليست أمريكا غير مسلمة؟ بلى! إذاً لماذا هذا الغنى الفاحش، وهذا الرزق الوافر، وتلك السيادة على الجميع، والهيمنة على الكل.

أليست أوربة كلها على هذا المنوال؟ الجواب: بلى!

إن حضارة الغرب قد سبقتنا أشواطاً عدة، ويكفي أن نعلم أن الغربيين قد أنفقوا كثيراً في استكشاف الفضاء، ولم يكتفوا بالصعود إلى القمر، بل التقطوا صُوراً ملونة لكوكب المرّيخ، وقد سخّروا الذرة للحرب والسلم...

أما العرب فإنهم إن أنفقوا كانت نفقاتهم تبعاً للأهواء، وإن أخلصت فئة في النفقات كانت نفقاتهم في الغذاء والكساء!

أيها الأحبة: للمال وظيفة أبعد مدى، وأكثر عمقاً في حياة الإنسانية والحضارة.

إن الأثرياء من الأوساط الرسمية والعادية مدعوة إلى إعلان الكرم الحقيقي، وهو البذل السخي في امتلاك مفاتيح الكون، كرصد الكواكب

---

[٣٢٠] سورة الفجر: ١٥، ١٦.

تمهيداً لغزو الفضاء، كي لا نترك الآخرين يتحدّوننا في كل مقومات الحضارة.

إن الإسلام يقوي الإرادة، ويجمع الطاقة، ويجعل أتباعه قادرين على تحقيق المعجزات. وديننُا يدعونا إلى ذلك. فالمسلم الحقيقي لا يهاب ولا يخشى وهو يواجه أعتى الحضارات، وأقدم المدنيات وأقدرها، وعلى المسلم أن يعيَ هذه الحقيقة، وأن يحمل نفسه العمل على إعلانها، من خلال الأساليب الموضوعية والأخلاقية الرزينة والقدرات الثقافية التي على مستوى التقدم المعاصر. وليكن هدفنا ما وضعته رسالة الإسلام ليثبت صلاحيتها وقدرتها على الإنجاز العلمي دون الوقوف فقط عند ترديد مقولة «إن القرآن أحصى كل شيء علماً وعدداً، وتكلم على كل العلوم والفنون التي يزدان بها اليوم المجتمع الغربي»، ثم نجمد عند التفاخر بأن القرآن سبق الغرب تقنيّاً بخمسةَ عشرَ قرناً، فالمسألة ليست تباهياً بالقديم بقدْر ما هي امتحان لمدى القدرة على النهوض بأعباء الحاضر والمستقبل، من أجل رقي المجتمع الإسلامي.

كونوا شهداء على الناس بإقامة العدل في القول وفي السلوك ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[٣٢١]، وبالتوسط في الأخذ بمادية الحياة وروحانية الآخرة بلا رفاهية تركن بنا إلى تبلد الشبع، وبلا إسقاط لمادية الحياة وبلا إسراف... تلك هي الوسطية التي تجعل الحياة الدنيا وسيلة، لا

[٣٢١] سورة الأنعام: ١٥٢.

غاية، للحياة الأعظم الأبدية التي يؤمن بها جميع المسلمين.

ـ والمرأة أو الفتاة مشاركة للرجل أو الشاب في ذلك، فهي شقه وهو شقها، ولكي تنبت النبتة لا بد من بذرها بشقيها معاً، فالشق الواحد لا ينبت بمفرده، ومن ثَمَّ لا يزهر ولا يثمر.

وإذا فهم كل من الفتى والفتاة دوره الذي يكمل دور الآخَر صلحت الأسرة التي هي نواة الأمة، تلك الأمة التي تظل بظلها كل من يدينون بدين الإسلام ويتخلقون بخلق القرآن.

لـــم ولـــــــن

لم تكن هزيمة الأشخاص، ولن تكون، علامة على هزيمة المبادئ ولا سقوطها دون الغاية المأمولة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوْا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾[٣٢٢]. وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٣٢٣].

إن الذي نعلمه حقاً أن الإسلام حق، وأن العمل له - أياً كانت النتائج - حقٌّ، فإما عزة في الدنيا، وإما فرحة يوم لقاء الله.

حق لهذه الكلمات أن تكتب بماء العينين

قال ابن عثيمين: «يجب على طلبة العلم خاصة، وعلى الناس عامة أن يحرِصوا على الاتفاق مهما أمكن؛ لأن أمنية أهل الفسق وأهل الإلحاد أن يختلف أصحاب الخير، لأنه لا يوجد سلاح أشد فتكاً من الاختلاف»[٣٢٤].

فهذا الاختلاف الذي نجده من بعض الإخوة الحريصين على اتباع السنة أرى أنه خلاف السنة وما تقصده الشريعة من توحد الكلمة واجتماع الأمة لأن هذا - ولله الحمد - ليس أمراً محرماً ولا منكراً، بل هو أمر يسوغ في الاجتهاد، فكوننا نولد الخلاف، ونشحن القلوب بالعداوة والبغضاء والاستهزاء بمن يخالفنا في الرأي، مع أنه سائغ، ولا يخالف السنة،

---

[٣٢٢] سورة آل عمران: ١٣٩.
[٣٢٣] سورة آل عمران: ١١٠.
[٣٢٤] شرح الممتع على زاد المستقنع، ج ٤، ص٨٦، ٨٧.

فالواجب على الإنسان أن يحرِص على اجتماع الكلمة ما أمكن، وحتى المتابعة بالختمة لا بأس به أيضاً؛ لأن الختمة نص الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وغيره من أهل العلم على أنه يستحب أن يختم بها في صلاة التراويح بعد انتهاء القرآن قبل الركوع[٣٢٥]، وهي ـ وإن كانت من ناحية السنة ليس لها دليل ـ فمادام أئمة المسلمين قالوا بها ولها مساغ أو اجتهاد، وليكن مخطئاً، فبما أنه ليس محرماً فلماذا نُخرج أو نسفّه أو نخطئ أو نبدع من فعل شيئاً نحن لا نراه؟ ومادام الأمر ليس إليك، ولكن إمامك يفعلها، فلا مانع من فعلها. ولننظر إلى الأئمة الذين يعرفون مقدار الاتفاق، فقد كان الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ يرى أن القنوت في صلاة الفجر «بدعة»، ومع ذلك يقول: «إذا كنت خلف إمام يقنت فتابعه على قنوته، وأمّن على دعائه». كل ذلك من أجل اتحاد الكلمة واتفاق القلوب وعدم كراهية بعضنا البعض.

---

[٣٢٥] قال في الإنصاف ١٨٥/٢: «ويدعو لختمه قبل الركوع في آخر ركعة من التراويح، ويرفع يديه ويطيل». نص عليه في رواية الفضل بين زياد. وقيل للإمام أحمد: يختم في الوتر ويدعو؟ فسهّل فيه.

الطـفــل

أتت امرأة غامدية إلى النبي ﷺ، وأعلمته بأنها قد زنت وأنها حبلى، فأمرها أن ترجِع حتى تلد.

ولدت المرأة وأتته بالصبي، فأمرها ﷺ أن ترجِع حتى تفطمَه. ومرت الأيام، ولما فطمته جاءت به، فأمر ﷺ بالصبي، فدفع إلى رجل من المسلمين، وأمر بها فرجمت، ثم صلى عليها ودفنت.

هذا هو حق الجنين، وهذا هو حق الطفل في الإسلام، حتى لو كان قدومه إلى هذه الحياة من طريق غير شرعي، فإنه لا ذنب له في ذلك، قال تعالى: ﴿...أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٣٢٦]؛ أي لا تحمل نفس إثم نفس أخرى، بل كل نفس تحمل وزرها.

والطفل لو ترك على فطرته لنشأ مسلماً، فالإسلام دين الفطرة، والإنسان يولد على الفطرة، ولهذا لمّا سأل أنس بن مالك، رضي الله عنه، النبي ﷺ عن ذراري المشركين، قال: ﴿أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة﴾[٣٢٧].

ولقد ماتت امرأة نصرانية في الشام، وفي بطنها ولد مسلم ومن زوج مسلم، فأمر عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أن تدفن في مقابر المسلمين من أجل ولدها[٣٢٨].

الطفل أمانة عند والديه، وقلبه جوهرة خالية من كل نقش، فهو قابل لكل

---

[٣٢٦] سورة فاطر: ١٨.
[٣٢٧] سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، ٤٥٣/٣.
[٣٢٨] موسوعة عمر، لمحمد رواس قلعه جي، ص٨٠٣.

ما ينقش، ومائل لكل ما يمال إليه «فإنْ عُوِّد الخيرَ جنى الخيرَ وكان سعيداً في الدنيا والآخرة، وشاركه في الثواب أبواه». ومن أدب الأبوين أن يؤدبا طفلهما بالآداب الإسلامية المعروفة، ولعل أول مقدمات الأدب الابتعاد عن الكِبْر، ومجانبة الإعجاب بالنفس: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[٣٢٩].

ومن حسن رعاية الطفل الرفق به:

عن أم المؤمنين السيدة رضي الله عنها، قالت: ﴿جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إلى النبيِّ ﷺ، فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَما نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: أوَأَمْلِكُ لكَ أنْ نَزَعَ اللَّهُ مِن قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ﴾[٣٣٠].

ودخل أحد الولاة على عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فوجده يلعب مع أولاده، فأنكر على الخليفة ذلك، فسأله عمر: كيف أنت مع أهلك؟ أجاب: إذا دخلتُ سكتَ الناطق، فقال عمر: اعتزِلْ عملنا، فإنك لا ترفق بأهلك وولدك، فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ؟

---

[٣٢٩] سورة لقمان: ١٨.

[٣٣٠] صحيح البخاري، برقم ٥٩٩٨.

عمــر عبد العزيــز والمــال

لقد دعانا رسول الهدى ﷺ إلى تكاثر الأبناء، لكي يُباهي بنا الأمم، ولكن كَثرة المال تحدد الحاجة الحقيقية للإنسان، ولذلك رأينا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فرض عطاء للزوجة، وعطاء لكل ولد من الأولاد، حتى لا يكونوا عبئاً على المعيل.

أما عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فكان يعطي للمولود أول ما يولد خمسين درهماً، فإن أتم العام من عمره أعطاه مئة[٣٣١].

وما برح عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يقتدي برسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده، حتى أجمع أئمة الإسلام أنه منهم، فقد قالوا من بعده: «الخلفاء خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم عمر بن عبد العزيز»، وعده السيوطي سادساً، لأنه جعل الحسن بن علي رضي الله عنهما خامساً، فقد بويع الحسن خليفة، ودامت خلافته ستة أشهر.

قال الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله: «إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز ويذكر محاسنه وينشرها فاعلم أن من وراء ذلك خيراً إن شاء الله».

قال عمر بن عبد العزيز: «لست بشارع ولكن منفذ، ولست بمبتدع ولكن متبع، وإني لست بخيركم ولكني رجل منكم، غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً».

---

[٣٣١] موسوعة عثمان بن عفان، لمحمد رواس قلعه جي، ص٢٧١.

وقال: «إن الله فرض فرائض، وسن سنناً، من أخذ بها لحق، ومن تركها مُحق، ومن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس:

١ـ يوصل إلينا حاجة من لا تصل إلينا حاجته.

٢ ـ ويدلنا على العدل إلى ما لا نهتدي إليه.

٣ ـ ويكون عوناً لنا على الحق

٤ ـ ويؤدي الأمانة إلينا وإلى الناس.

٥ـ ولا يغتب عندنا أحداً، ومن لم يفعل فهو في حرج من صحبتنا والدخول علينا».

روى ابن وهب، عن القاسم بن محمد، أنه قال: «لقد أعجبني قول عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن أصحاب محمد ﷺ لا يختلفون، لأنه لو كان قولاً واحداً كان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان سنة»[٣٣٢].

رحم الله عمر بن عبد العزيز، لقد ألان قلوباً قاسية، وبقي له ذكر في الصالحين إلى يوم الدين.

---

[٣٣٢] الاعتصام، للشاطبي، ٣٩٠/٢ ط الباز بمكة المكرمة.

الإيمان الواضح والعمل الصالح

وعد ربنا سبحانه وتعالى عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات مواعد عدة، في مواض كثيرة من كتابه العزيز، منها:

١ـ ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٣٣٣].

٢ـ ﴿لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٣٣٤].

٣ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[٣٣٥].

٤ ـ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾[٣٣٦].

٥ـ القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾[٣٣٧].

٦ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[٣٣٨].

٧ ـ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٣٣٩].

---

[٣٣٣] سورة العصر.
[٣٣٤] سورة الطلاق١١.
[٣٣٥] سورة البينة: ٧.
[٣٣٦] سورة العنكبوت: ٧.
[٣٣٧] سورة العنكبوت: ٩
[٣٣٨] سورة العنكبوت: ٩.
[٣٣٩] سورة الحج: ٥٠.

٨ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[٣٤٠].

٩ ـ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾[٣٤١].

١٠ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[٣٤٢].

١١ ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[٣٤٣].

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين والحمد لله رب العالمين.

---

[٣٤٠] سورة مريم: ٩٦.
[٣٤١] سورة البقرة: ٢٥.
[٣٤٢] سورة الكهف: ١٠٧.
[٣٤٣] سورة طه: ١١٢.

كيف ينظر الإسلام إلى غير المسلمين؟

إذا تولى المسلمون غير المسلمين الحربيين انطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[٣٤٤].

لكننا إذا قدمنا معونة لغير المسلم من غير الحربيين فإننا نؤجر على عوننا هذا، لما في ذلك من الإحسان، لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣٤٥]. ولقوله سبحانه: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٣٤٦] ومعنى أن تبروهم: أن تصلوهم.

وقد أذِن رسول الله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن تصل أمها، ولم تكن مسلمة[٣٤٧].

ـ تجوز مخالطة غير المسلمين، ومجالستهم ومؤانستهم في سبيل دعوتهم إلى الله وشرح تعاليم الإسلام لهم وترغيبهم في الدخول في الإسلام، كما تجوز مصاحبتهم وإظهار المودة لهم[٣٤٨].

ـ يستحب للمسلم أن يدعو لغير المسلم الذي له حق عليه مادام حياً، فقد توفي أبو رجل، وكان هذا الأب يهودياً، والابن مسلماً فلم يتبعه، فذكر ذلك لابن عباس فقال: «وماذا عليه لو غسله واتّبعه، واستغفر له ما كان حياً»؟!

---

[٣٤٤] سورة المائدة: ٥١.
[٣٤٥] البقرة: ١٩٥.
[٣٤٦] سورة الممتحنة: ٨.
[٣٤٧] صحيح البخاري، فتح الباري ٥/٣٢٣، وصحيح مسلم برقم ١٠٠٣.
[٣٤٨] فتوى ابن جبرين، مصدر سابق سبق برقم ٢٣١.

يقول: لو أنه دعا له ما كان الأب حياً ـ ثم قرأ ابن عباس ﴿فلما تبيّن له أنه عدو لله تبرأ منه﴾[٣٤٩] ـ لما مات على كفره[٣٥٠].

وقد مر بنا أن رسول الله ﷺ دعا لأم أبي هريرة حتى هداها الله سبحانه وتعالى، ودعا لدَوس فقال: ﴿اللهم اهد دوساً وائت بهم﴾، فهداهم الله.
وأنه ﷺ قد استسقى لبعض المشركين لما طلبوا منه أن يستسقيَ لهم فاستسقى لهم، وكان إحساناً منه إليهم، يتألف به قلوبهم كما كان يتألفهم بغير ذلك[٣٥١].

ـ وكذلك يعود المسلم غير المسلم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يعود المسلم الكافر، يقول: كيف أصبحت؟ وكيف أمسيت...»[٣٥٢].
ـ فإذا عطس شمّته،؛ يقول له: ﴿يَهْدِيْكُمُ اللهُ وَيُصْلِح بَالَكُمْ﴾[٣٥٣]. والحكمة من ذلك أن غير المسلمين في حاجة إلى الهداية، فإن اهتدَوا يكون الله تعالى قد رحمهم، ولهذا عدل ﷺ عن لفظ «يرحمكم الله» إلى لفظ «يهديكم الله».

ـ ولا بأس أن نبدأهم بسلامهم قائلين: كيف حالك؟ وكيف أصبحت؟ وكيف أمسيت؟ ونحو ذلك إذا دعت الحاجة إلى ذلك. صرح بذلك جمعٌ من أهل

---

[٣٤٩] سورة التوبة: ١١٤.
[٣٥٠] موسوعة فقه ابن عباس، لمحمد رواس قلعه جي، ٤٥٩/١.
[٣٥١] سبق برقم ٢٣٤.
[٣٥٢] مصنف عبد الرزاق ٣٥/٦، وموسوعة فقه ابن عباس، لمحمد رواس قلعه جي، ٣٦١/٢.
[٣٥٣] سنن أبي داود ٣٠٨/٤.

العلم، منهم ابن تيمية، رحمه الله[٣٥٤]. وأما قوله ﷺ: ﴿لا تَبْدَؤُوا اليَهُودَ وَالنَّصارى بِالسَّلامِ...﴾[٣٥٥]، فإن المقصود بالسلام هي تحية الإسلام المعهودة: «السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته»؛ لأن «أل» في «السلام» عهدية ذهنية.

ـ وتجوز معاملتهم في التجارة، مع أنهم يأكلون الرِبا ويقتحمون ما حرّم الله، سبحانه، عليهم، قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾[٣٥٦]. ولا يخفى أن الطعام يُشترى بالمال، وأن مال أهل الكتاب مصبوغ بالربا، وقد مر بنا أن النبي ﷺ قد عامل اليهود، وأنه ﷺ «مات ودرعه رهنٌ عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير»[٣٥٧].

«وهكذا فقد اتفقت الأمة الإسلامية على جواز التجارة معهم، وقد سافر النبي صلى الله عليه وسلم إليهم تاجراً وذلك من سفره أمر قاطع على جواز السفر إليهم والتجارة معهم»[٣٥٨].

ـ ويجوز للمسلم أن يقدم هدية لغير المسلم، فقد صرف رسول الله ﷺ الزكاة للمؤلفة قلوبهم ليتألفهم على الإسلام والدخول فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[٣٥٩].

وبهذا تكون الهدية وسيلة عظيمة من وسائل الدعوة إلى الله، وتحبب الناس

---

٣٥٤ فتوى ابن باز وابن غديان والعفيفي رقم ١١١٢٣.
٣٥٥ مسند أحمد ٣٤٦/٢. وصحيح مسلم، برقم ٢١٦٧.
٣٥٦ سورة المائدة: ٥.
٣٥٧ سبق تخريجه برقم ٢٣٦.
٣٥٨ تفسير القرطبي ١٢/٦، ١٣.
٣٥٩ سورة التوبة: ٦٠.

في الدين وسلوك مسلك الصالحين[٣٦٠].

ولقد كسا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخاً له مشركاً بمكة حلة كان الرسول ﷺ أهداها إليه.[٣٦١].

ومر بنا أنه «يجوز للمسلم المضحي أن يهديَ غير المسلم من لحم أضحيته؛ لفقره، أو قرابته، أو تأليف قلبه»[٣٦٢].

ـ ويجوز للمسلم أن يستعمل آنية غير المسلمين[٣٦٣].

وقد توضأ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، من جرة امرأة نصرانية[٣٦٤].

ـ ويشرع للمسلم دفن والديه غير المسلمين، فقد قال رسول الله ﷺ مخاطباً علي بن أبي طالب: ﴿اذهبْ فَوَارِهِ (والهاء تعني أبا طالب) ثم لا تحدثن حتى تأتيني، فذهبت فواريته وجئته وعليّ أثر التراب والغبار، فأمرني فاغتسلت، ودعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بهم على الأرض من شيء﴾[٣٦٥].

ـ ويجوز للمسلم أن يشيع جنازة غير المسلم، فإن أصحاب رسول الله ﷺ شيعوا جنازة أم الحارث بن ربيعة وكانت نصرانية، دون أن ينكر ذلك أحد منهم[٣٦٦].

---

٣٦٠ مرآة جامعة الإمام، العدد ١٧٧، ص٩.

٣٦١ سنن البيهقي ٢٤١/٣، والمغني ٢٤١/٣ و١٠٤/٦، وموسوعة فقه عمر بن الخطاب، لمحمد رواس قلعه جي، ص٨٥٥.

٣٦٢ من فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية، نقلاً عن منار السبيل، العدد٩، ص١٣.

٣٦٣ موسوعة فقه علي، لمحمد رواس قلعه جي، ص١٢١.

٣٦٤ المغني ٨٢/١، والمجموع ٣٢٩/١، وموسوعة فقه عمر، لمحمد رواس قلعه جي، ص١٥٨.

٣٦٥ أخرجه أبو داود برقم ٣٠٤، والنسائي ٢٨٢/٢، وأحمد ٩٧/١.

٣٦٦ المحلى ١١٧/٥، وموسوعة فقه عثمان، لحمد رواس قلعه جي، ص٣٢٦.

ـ أما زيارة المسلم لقبر والديه غير المسلمين فجائزة؛ لأن هذه الزيارة تنفع في تذكير الموت[٣٦٧]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ﴿زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: اسْتَأذَنْتُ رَبِّي في أنْ يَغْفِرَ لَها فَلَمْ يَأذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُ رَبِّي في أنْ أزُورَهَا فَأذِنَ لِي، فَزُورُوا القُبورَ فإنَّها تُذَكِّرُكُمُ المَوْتَ﴾[٣٦٨].

ـ ولا يجوز لعن كافر معين، لأن حاله عند الوفاة لا تُعلم، فإذا آمن وأخلص إيمانه وأقلع عن الكفر فقد هداه الله السبيل، و﴿الإسلامُ يَجُبُّ ما قَبْلَهُ﴾[٣٦٩]. وهكذا فليس من أدب الإسلام المواجهة لأحد باللعن في وجهه، فإنه فحش. ولكن لا يمنع من جواز لعن الكفار على العموم، فإن لعنهم جزاءٌ لهم على الكفر وزجرٌ لهم عنه وإظهار لقبحه.

ـ وهكذا فنجاسة غير المسلمين إنما هي نجاسة معنوية، أما أبدانهم إذا كانت نظيفة فلا يقال إنها نجسة نجاسة حسية، ولهذا فيجوز لبس ثيابهم النظيفة كما تجوز مصافحتهم والانتفاع بما نسجوه أو صنعوه، فقد كان رسول الله ﷺ وصحابته ينتفعون بما صنعوه أو نسجوه إذا عُلمت طهارته؛ لأن الأصل في الأشياء الطهارة[٣٧٠].

ـ وأما عملهم الحسن فإنهم يجازون عليه شرعاً في الدنيا، ولا تنفعهم حسناتهم في الآخرة، ولا يخفف عنهم العذاب بسببها. هذا في حسنات الذين

---

[٣٦٧] فتاوى ابن تيمية ١٦٦/١.
[٣٦٨] صحيح سنن ابن ماجه ٢٦٢/١.
[٣٦٩] زبدة التفسير من فتح القدير ص ١٢٦.
[٣٧٠] فتوى ابن جبرين: فتوى المرأة ١٢/١.

يموتون على كفرهم، فقد قال ﷺ: ﴿إنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بها في الدُّنْيا ويُجْزَى بها في الآخِرَةِ، وأَمَّا الكافِرُ فيُطْعَمُ بحَسَناتِ ما عَمِلَ بها لِلَّهِ في الدُّنْيا، حتَّى إذا أفْضَى إلى الآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ له حَسَنَةٌ يُجْزَى بها﴾[٣٧١].

أما إذا أسلم فإن الله سبحانه وتعالى يكتب له كل حسناته التي كان عمل بها قبل إسلامه، ويجازيه بها في الآخرة، لقوله ﷺ: ﴿إذَا أسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إسْلَامُهُ، يُكَفِّرُ اللَّهُ عنْه كُلَّ سَيِّئَةٍ كانَ زَلَفَهَا، وكانَ بَعْدَ ذلكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بعَشْرِ أمْثَالِهَا إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، والسَّيِّئَةُ بمِثْلِهَا إلَّا أنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا﴾[٣٧٢].

ـ وكذلك فإن الله يستجيب دعاء غير المسلم المظلوم؛ لأن الله تعالى قد حرّم ظلم الإنسان نفسَه وظلم الإنسان غيرَه، ولهذا فإن دعاء المظلوم لا يُرد، وقد قال رسول الله ﷺ:﴿اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب﴾[٣٧٣].

ـ أما أموال غير المسلم، إذا أسلم، فإنها حلال، والآية الكريمة واضحة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣٧٤].

«لقد أمرهم الله تعالى بترك ما بقي من الذمم من الربا، ولم يأمرهم بِردّ ما قبَضوه، لأنهم كانوا يستحلون ذلك»[٣٧٥].

---

٣٧١ صحيح مسلم برقم ٢٨٠٨، ومسند أحمد ١٢٥/٣.
٣٧٢ صحيح البخاري، برقم ٤١، والنسائي برقم ٤٩٩٨.
٣٧٣ مسند أحمد ١٥٣/٣.
٣٧٤ سورة البقرة: ٢٧٨.
٣٧٥ فتاوى ابن تيمية ٣١٩/٢٩

وقد قال رسول الله ﷺ: ﴿إذا أسلم الرجل فهو أحق بأرضه وماله﴾[٣٧٦].

ـ أما أطفال غير المسلمين فمر بنا أنهم ﴿خدم أهل الجنة﴾[٣٧٧]؛ لأنهم لم يكن لهم ذنوبٌ يعاقبون بها فيدخلون النار، ولم تكن لهم حسناتٌ يجازون بها فيكونون من ملوك الجنة.

ومر بنا امرأة نصرانية ماتت في الشام وفي بطنها ولد مسلم، فأمر عمر أن تدفن في مقابر المسلمين من أجل ولدها[٣٧٨]؛ لأنه «إذا أسلم أحد الأبوين وكان الأولاد صغاراً فإنهم مسلمون بإسلام مَن أسلم من الأبوين»[٣٧٩]، وقد قضى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بين نصرانيين بينهما ولد صغير فأسلم أحدهما، فقال: أولاهما به المسلم[٣٨٠].

ـ وأما الفتاة غير المسلمة التي دخلت في الإسلام، وأهلها كلهم يهود أو نصارى، فكيف يعقد زواجها؟ ولا يكون ذلك إلا بولي، كما في الحديث الشريف؟ والجواب أننا نرى حديثاً صحيحاً عن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها: ﴿والسلطان وليُّ مَن لا ولي له﴾[٣٨١]. فمن هو السلطان؟

هل هو القاضي الشرعي في ما بين المسلمين؟

هل هو إمام المسجد العالِم في كثير من أمور الشريعة السمحة؟

هل هو ذلك الرجل الذي أسلمت تلك الفتاة على يديه؛ لأن رسول الله ﷺ

---

[٣٧٦] مسند أحمد ٣١٠/٤ عن أبان بن عبد الله البجلي.
[٣٧٧] سبق تخريجه برقم ٣٢٣.
[٣٧٨] سبق برقم ٣٢٤
[٣٧٩] موسوعة فقه علي بن أبي طالب، لمحمد رواس قلعه جي، ص٩٠.
[٣٨٠] مصنف عبد الرزاق ٣٠/٦، وموسوعة فقه عمر، لمحمد رواس قلعه جي، ص٣٦١.
[٣٨١] صحيح سنن بن ماجه ٣١٧/١.

قال: ﴿من أسلم على يديه رجل فهو مولاه يرثه ويدِي عنه﴾[٣٨٢].

والجواب: لعل ذلك كله يحتمل. والله أعلم.

ـ هذه الفتاة التي أسلمت وانتبذت من أهلها الجهات الأربع، كيف سيكون سفرها؟ سئل سماحة الشيخ ابن باز عن صحة حج امرأة حجت مع أناس أجانب عليها من غير محرم. فأجاب، رحِمه الله: حجُّها صحيح، وتعتبر عاصية بسفرها بدون محرم، وعليها التوبة إلى الله سبحانه وتعالى من ذلك[٣٨٣]. وقد أذن عمر بن الخطاب لأزواج النبي ﷺ بالحج، وبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف[٣٨٤].

أخيراً: هل تحرم الإقامة في بلاد غير المسلمين؟

لقد روى أبو داود في «الجهاد»، والترمذي في «السير» أن النبي ﷺ قال: ﴿أنا بريءٌ من كلِّ مسلِمٍ يقيمُ بينَ أظْهُرِ المشرِكينَ. قالوا يا رسولَ اللَّهِ ولِمَ؟ قالَ لاَ تراءى ناراهما﴾[٣٨٥]. ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ أنا بريء من دمه إذا قتل، لأنه عرّض نفسه لذلك بإقامته بين هؤلاء الكفار المحاربين (الحربيين) لدولة الإسلام. وأما إذا كانوا من غير المحاربين لدولة الإسلام فلا، وإلا كيف ندعو إلى الإسلام إذا لم نقم في بلادهم ونتعلم لغتهم ونفهم ثقافتهم؟

إن الله سبحانه وتعالى خالق الناس جميعاً، وقال تعالى:

---

[٣٨٢] المغني ٣٨٠/٦، وموسوعة عمر، لمحمد رواس قلعه جي، ص٧٠.
[٣٨٣] فتاوى المرأة ٤٧/٢.
[٣٨٤] سنن البيهقي ٢٢٨/٥.
[٣٨٥] صحيح الترمذي برقم ١٦٠٤.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣٨٦].

لقد جاء أن يهودية كانت تخدِم عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، فلا تصنع إليها شيئاً من المعروف إلا قالت لها اليهودية: «وقاكِ الله عذاب القبر»[٣٨٧].

وروى البيهقي أن أبا بكر، رضي الله عنه، دخل على عائشة، رضي الله عنها، وعندها يهودية ترقيها، فقال رضي الله عنه: ارقيها بكتاب الله عز وجل[٣٨٨].

وقد أجّر علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، نفسَه من يهودي يستسقي له كل دلو بتمرة، وأتى النبيَّ ﷺ، فأكل منه[٣٨٩].

إن إسلامنا فطريٌّ صالح لكل زمان ومكان، وإن مدار شرعنا على المصلحة التي تعني جلب المصالح المعتبرة، ودرء المفاسد المحققة، وحيث ما تكون المصلحة الشرعية فثَم شرع الله، كما يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ وفرق كبير بين فقه التطبيق وفقه النظريات، فإن الحال في عهد النبي ﷺ غير الحال في وقت أبي بكر وعمر، وإن الحال في وقت أبي بكر وعمر غير الحال في وقت عثمان وعلي ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ فهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه قد زاد أذاناً يسبِق الأذان الذي بين يدي الخطيب (يوم الجمعة)، لمّا اتسعت رقعة المدينة المنورة

---

[٣٨٦] سورة التغابن: ٢.
[٣٨٧] أخرجه أحمد ٨١/٦ ـ١٧٤.
[٣٨٨] سنن البيهقي ٣٤٩/٩.
[٣٨٩] موسوعة فقه علي، مصدر سابق، ص١٥.

سنة ٣٠هـ ، ولقد كان المؤذن يرفعه على دار عثمان في الزوراء، يبلغ به الأسواق، وبذلك أصبح لصلاة الجمعة أذانان وإقامة[٣٩٠].

وقد نكح عثمان نفسُه نائلةَ بنتَ الفرافصة الكلبية، وهي نصرانية، على نسائه، ثم أسلمت على يديه وولدت له ابنته مريم[٣٩١].

أما علي بن أبي طالب فقد كان يقنت في النصف الأخير من رمضان. وهذا يدل على أنه كان يقنت من غير أن تكون هناك نوازل تستدعي القنوت[٣٩٢]. وكان علي يصلي التراويح عشرين ركعة، ويأمر بذلك. يسلّم في كل رَكعتين، ويراوح بين كل أربع ركعات لحظة[٣٩٣].

وكان يرى إجابة الدعوة إلى مكان فيه صورة، فقد روى عائذ في «فتوح الشام» أن النصارى صنعوا لعمرَ بنِ الخطاب حين قدِم الشام طعاماً فدعوه، فقال: أين هو؟ قالوا: في الكنيسة، فأبى أن يذهب وقال لعلي، رضي الله عنه: امضِ بالناس فليتغدوا، فذهب عليٌّ بالناس فدخل الكنيسة وتغدى هو والمسلمون، وجعل عليٌّ ينظر إلى الصور ويقول: «ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل»؟![٣٩٤].

أما أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، فقد كان يسأل السارق: «أسرقتَ؟ قل لا».

---

[٣٩٠] موسوعة فقه عثمان، لمحمد رواس قلعه جي، ص٢٩.
[٣٩١] المصدر السابق، ص٣٠٤.
[٣٩٢] موسوعة فقه علي، مصدر سابق، ص٣٨٨.
[٣٩٣] المصدر السابق، ص٤١٠.
[٣٩٤] المصدر نفسه، ص٤١٨.

وهكذا، فعلى كل مَن عرَفَ من المسلمين أن مرتكب الحد سيقرّ على نفسه بالحد أن يثنيَه عن عزمه على الإقرار[٣٩٥].

وقد سئل عمر عن طعام أهل الربا، فقال: كلوا إذا دعَوكم ما لم تعلموا أن ذلك الطعام من الحرام. وهكذا فقد كان رضي الله عنه يحل الأكل من كل كسب اختلط حلاله بحرامه ولم يمكن التمييز.

إن فهم الواقع أمرٌ مطلوب، فظاهرة الاشتغال بالحديث الشريف على حساب الفقه بمعناه الشامل أمر فيه تضييق، والتنازع والاختلاف لا ينبغي أن يُفضيَ إلى التطاحن والتباغض، فقد كان عمر وعثمان، رضي الله عنهما، يتنازعان في المسألة حتى يقولَ الناظر إليهما: لا يجتمعان أبداً، فما يفترقان إلا على أحسنه وأجمله[٣٩٦].

أليس ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة في التفسير؟ وهو مَن هو؟ لقد كان ابن عباس يأكل من ذبائح النصارى في السوق[٣٩٧].

أما عبد الله بن مسعود فإن رجلاً سأله قائلاً: إن لي جاراً ولا أعلم له شيئاً إلا خبيثاً أو حراماً، وإنه يدعوني فأتحرّج أن أتيَه، فقال ابن مسعود، رضي الله عنه: أجِبه فإنما وِزرُه عليه[٣٩٨].

وكان ابن مسعود يقول: «إذا اشتريتم لحماً فاسألوا فإن كان ذبيحة يهودي

---

[٣٩٥] موسوعة فقه أبي بكر، لمحمد رواس قلعه جي، ص١٠٠.
[٣٩٦] كنز العمال ٣٠١/١٠.
[٣٩٧] موسوعة فقه ابن عباس، لمحمد رواس قلعه جي، ١٩٧/١.
[٣٩٨] موسوعة فقه ابن مسعود، لمحمد رواس قلعه جي، ص٢٣٣.

أو نصراني فكلوه فإن طعامه حِل لكم»[٣٩٩]، وقد روى البيهقي عن القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه لما أتى أرضَ الحبشة أخذ عبد الله بشيء فتعلق به، فأعطى دينارين حتى خلّيَ سبيله[٤٠٠]، وهكذا فليس من الرشوة ما يدفعه المرء لظالم يحصل على حقه منه، وبذلك يكون الآخذ آثماً، ولا إثم على المعطي. وقد صحِب ابن مسعود نصرانياً في طريق، فذهب النصراني، فقال له ابن مسعود: «عليك السلام»، فقيل له لِمَ فعلت هذا؟ قال: لِحقّ الصحبة[٤٠١]، وكان ابن مسعود يقول: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع»، وسئل عن معنى لهو الحديث في الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٤٠٢] فقال: هو ـ واللهِ ـ الغناء، لكن ابن مسعود رخّص الغناء في العرس، فقد دخل عرساً فيه مزامير ولهوٌ فقعد ولم ينهَ عنه[٤٠٣].

وإلا فما معنى قول الرسول ﷺ: ﴿عليكم بسنّتي وسنّةِ الخلفاءِ المَهديّين الرّاشدين تمسّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنواجذِ﴾[٤٠٤]؟ أليست الواو عاطفة لمطلق الجمع؟ أفلا يدل هذا على التوسيع للناس والتيسير لهم، ذلك بأن ديننا دين يسر لا عسر.

هذا هو الإسلام... والحمد لله أولاً وأخِراً.

---

[٣٩٩] المصدر السابق، ص٢٥٩.
[٤٠٠] سنن البيهقي ١٣٩/١٠.
[٤٠١] موسوعة فقه ابن مسعود، مصدر سابق، ص٣٢٥.
[٤٠٢] سورة لقمان: ٦.
[٤٠٣] مصنف ابن أبي شيبة ٢١٤/١.
[٤٠٤] تقدم تخريجه برقم ٢٨.

لا يقوم بدين الله إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه

يروي أبو نعيم في «دلائل النبوة»، أنه حين كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الوفود القادة إلى مكة لينصروا دعوته، قام سيدنا علي، رضي الله عنه، قام مع سيدنا أبي بكر، رضي الله عنه، بمعية المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، يدعون إلى الله عز وجل، فجلسوا إلى وفد بني شيبان- وبنو شيبان فرع من فروع ربيعة - وقام أبو بكر يكلمهم، وهم: المثنى بن حارثة، ومفروق بن عمرو، والنعمان بن الشريك، فقال لهم أبو بكر: كم العدد فيكم؟ قال: إننا لَنزيد على الألف، ولن يُغلَبَ ألفٌ مِن قِلة.

قالوا: كيف الحرب فيكم؟ قالوا: إنا لنكون حين نَلقى أشدَّ غضباً، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاحَ على اللقاح.

فقال لهم أبو بكر: كيف المنَعة فيكم؟ قالوا: إنا لنمنع الذي يستجيرنا أكثرَ مما نمنع أنفسنا.

انتهى دور أبي بكر، وإذا بالمصطفى ﷺ يقوم، ويقول أبو بكر: فقمت بجانبه أظلله بثوبي، وراح كل واحد منهم من هؤلاء، من بني شيبان يطرح على النبي ﷺ سؤالاً. إلامَ تدعو يا أخا قريش؟

قال المصطفى ﷺ: أدعوكم إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وأن تؤوني وتمنعوني وتنصروني.

وقام الثاني فقال: إلامَ تدعو يا أخا قريش؟

فقال ﷺ: «اِسمع»، وقرأ آية من كتاب الله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ

عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤٠٥].

وقام الثالث وقال: إلامَ تدعو أخا قريش؟

فقال ﷺ: «اسمع» ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤٠٦]. وإذ بالثلاثة يجيبون: «إن هذا ليس بكلام أهل الأرض، ولو كان كلامَ أهل الأرض لعرفناه. لقد أُفِك قومٌ كذّبوك وظاهروا عليك. وإنا نرى أنّ تركنا دينَنا، واتباعَنا إياك لمجلس واحد جلستَه إلينا أمرٌ غير محمود إن لم نتفكر في الأمر وننظر في العاقبة.

فجاء جواب النبي ﷺ دليلاً على التكامل والتناسق وعدم التنافر. فقال ﷺ: ما أسأتم الردّ إذ أفصحتم بالصدق، إنه لا يقوم بدين الله إلا مَن أحاطه من جميع جوانبه».

---

[٤٠٥] الأنعام: ١٥١ـ ١٥٣.

[٤٠٦] سورة النحل:٩٠.

فهذا الدين كامل، قال تعالى: اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِينًا﴾(سورة المائدة: ٣.)، فالإسلام دين كامل متكامل، بعقيدته وتشريعه وأوامره ونواهيه وحدوده، أكمله الله سبحانه ورضيه لعباده، وليس نظاما وضعياً ليقبل الإنسان منه ما يوافق عقله أو هواه ويترك ما سواه، فأنْ تقولَ عن فكرةٍ ما: إنك تؤمن بها لأن عقلك وافَقَها، وأن تقول عن فكرة أخرى وردت في القرآن إنك لا تؤمن بها لأن عقلك لم يوافقها، فهذا ما يخرجك عن الدائرة الإسلامية، فقد قال سبحانه لليهود حين فعلوا ذلك: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٤٠٧]، وهكذا فإنه لا يقوم بهذا الدين إلا رجلٌ أحاط به من كل جوانبه.

---

[٤٠٧] سورة البقرة: ٨٥.

إذا أعطيتم فأغنوا

هذا مبدأ حكيم أعلنه الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. لقد كان عمر يعمل على إغناء الفقير بالزكاة، لا مجرد سدّ جوعه بلقيمات، أو إقالة عثرته بدريهمات.

جاء رجل يشكو إليه سوء الحال، فأعطاه ثلاثاً من الإبل، وما ذلك إلا ليقيَه العَيلة. والإبل كانت أنفع أموالهم وأنفسها حينئذ، بل قال للعمال الذين يعملون في توزيع الصدقات على المستحقين: «كرِّروا عليهم الصدقة وإن راح على أحدهم مئة من الإبل».

إن الدولة المسلمة ـ بناء على هذا الرأي الحكيم ـ تستطيع أن تنشئ من أموال الزكاة مصانع وعقارات ومؤسسات تجارية ونحوها، وتملّكها للفقراء، كلها أو بعضها، لتدرّ عليهم دخلاً يقوم بكفايتهم كاملة، ولا تجعل لهم الحق في بيعها ونقل ملكيتها، كي تظل شبه موقوفة عليهم.

وإذا عرفنا هدف الإسلام من الزكاة بالنظر للفقير والمسكين، الذي يحسن حرفة ولا يقدر على عمل، وهو كفالة مستوى معيشي ملائم له ولأسرته، وأنه يعطى تمام كفايته لمدة شهر أو شهرين أو سنة كاملة، فإننا نوقن بأن الزكاة إنْ هي إلا معونة دائمة منتظمة، حتى يزول الفقر بالغنى، ويزول العجز بالقدرة، أو تزول البطالة بالكسب، وهكذا... ولنتأمل في هذه القصة الواقعية التي حكاها لنا أبو عبيد بسنده، قال:

«بينما عمر نِصفَ النهار قائل في ظل شجرة، وإذا أعرابية، فتوسمت

الناس، فجاءته، فقالت: إني امرأة مسكينة ولي بنون، وإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان بعث محمد بن سلمة ساعياً (تعني جابياً وموزعاً للصدقة) فلم يعطنا. فلعلك ـ يرحمك الله ـ أن تشفع لنا إليه!

قال: فصاح بيرفأ (خادمه) أن ادع لي محمد بن مسلمة، فقالت: إنه أنجح لحاجتي أن تقوم معي إليه. فقال: إنه سيفعل إن شاء الله.

فجاءه يرفأ فقال: أجب. فجاء، فقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين، فاستحيت المرأة. فقال عمر: والله ما آلو أن أختار خياركم. كيف أنت قائل إذا سألك، عز وجل، عن هذه؟ فدمَعت عينا محمد، ثم قال عمر: إن الله بعث إلينا نبيه ﷺ فصدقناه واتبعناه، فعمل بما أمره الله فجعل الصدقة لأهلها من المساكين حتى قبضه الله على ذلك. ثم استخلف الله أبا بكر فعمل بسنته حتى قبضه الله. ثم استخلفني فلم آلُ أن أختار خياركم. إن بعثتك فأدِّ إليها صدقة العام وعامٍ أول... وما أدري لعلي لا أبعثك. ثم دعا لها بجمل فأعطاها دقيقاً وزيتاً. وقال: خذي هذا حتى تلحقينا بخيبر، فإنا نريدها(سائرون إليها)، فأتته بخيبر، فدعا لها بجملين آخرين وقال: خذي هذا فإن فيه بلاغاً حتى يأتيَكم محمد بن مسلمة، فقد أمرته أن يعطيك حقك للعام وعامٍ أولَ»[٤٠٨].

علامَ تدل هذه القصة بأحداثها وحوارها؟

ـ إنها تدل على مبادئَ ومعانيَ كثيرة وسامية حقاً.

---

[٤٠٨] الأموال، ص٥٩٩.

ـ وتدل على مدى شعور الحاكم المسلم بمسؤوليته عن كل فرد يعيش في ظل حكم الإسلام.

ـ وتدل على مدى شعور الأفراد أنفسهم بحقهم في عيشة لائقة، تهيئها لهم الدولة المسلمة.

ـ وتدل على أن الزكاة كانت الدعامة الأولى لبناء التكافل المعيشي في المجتمع المسلم.

ـ وتدل على أنها كانت معونة منتظمة مستمرة، وإذا لم تصل إلى صاحبها، فإن من حقه أن يتظلم ويشكو.

ـ وتدل على أن السياسة الرشيدة هي إعطاء ما يكفي ويُغني، فقد أعطى، رضي الله عنه، المرأة أولاً جملاً محمّلاً بالدقيق والزيت، ثم ألحقه بجملَين آخرين، وجعل هذا كله عطاء مؤقتاً حتى يعطيها محمد بن مسلمة حقها عن العامين: الماضي والحاضر.

ـ وتدل بعد ذلك كله على أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لم يكن في ذلك مبتدعاً، بل كان متبعاً لسنة سيدنا رسول الله ﷺ ولخليفته أبي بكر، رضي الله عنه.

﴿لأنْ يُطْعَنَ أَحَدُكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَديدٍ خَيْرٌ مِنْ أنْ يَمَسَّ امْرَأةً لا تَحِلُّ لَهُ﴾[٤٠٩]

هذا الحديث ليس نصاً في تحريم المصافحة؛ لأن المس في لغة القرآن والسنة لا يعني مجرد اتصال البشرة بالبشرة، إنما معنى المس هنا ما دل عليه ترجمان القرآن وحبر الأمة بالتفسير ابن عباس رضي الله عنهما: أن المس واللمس والملامسة في القرآن كناية عن الجماع، فإن الله حيي يكني كما شاء بما شاء.

وهذا هو الذي لا يفهم غيره في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾[٤١٠]. فقوله: ﴿أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ معناه: أن تجامعوهن، فكنى ذلك بلفظ «المس»[٤١١].

نعم، فإن جميع المفسرين والفقهاء ـ حتى الظاهرية ـ فسّروا المس بالدخول. وهذه آية أخرى في قول مريم، عليها السلام، يؤكد هذا المعنى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾[٤١٢]. فاستبعدت أن تلد ولداً من غير ذكر يكون

---

[٤٠٩] رواه الهيثمي في «المجمع» وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح عن معقل بن يسار ٣٢٦/٤.
[٤١٠] سورة الأحزاب: ٤٩.
[٤١١] زبدة التفسير من الفتح القدير للشوكاني ص ٥٥٧.
[٤١٢] سورة آل عمران: ٤٧.

له أباً»[٤١٣].

وهكذا، فليس في المصافحة، مجرد المصافحة، التي لا تصاحبها شهوة، ولا تخاف من ورائها فتنة، ولا سيما عندما تدعو إليها الحاجة، كقدوم من سفر، أو شفاء من مرض، أو خروج من محنة ونحو ذلك مما يعرض للناس يهنئ بعضهم بعضاً، أقول: ليس في هذا النوع من المصافحة ما يدل على التحريم إن شاء الله تعالى. والله تعالى أعلم.

---

[٤١٣] زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني ص٧٠.

كثرة علم العالم لا تستلزم اطلاعه على جميع النصوص

يظن بعض الناس أن العالم أو الداعية يجب أن يكون ملماً بكل أطراف الفقه وفروعه، وهذا لم يتيسر لأحد غير النبي ﷺ، فحتى الصحابة، بل كبارهم، لم يلموا بكل شيء، وفاتهم أشياء سألوا عرفوها ممن هم دونهم قِدماً في الإسلام، فقد خفي على أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، فرض الجدة من إرث حفيدها، حتى أخبره المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة أن النبي ﷺ أعطاها السدس، فرجع رضي الله عنه إلى قولهما.

ـ ولم يعلم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بحكم الاستئذان ثلاثاً حتى أخبره أبو موسى الأشعري وأبو سعيد الخدري، رضي الله عنهم أجمعين.

ـ ولم يعلم عثمان بن عفان، رضي الله عنه، بوجوب السكنى للمتوفى عنها زوجها حتى أخبرته قريعة بنت مالك أن النبي ﷺ ألزمها بالسكنى في المحل الذي مات عنها زوجها فيه حتى تنقضيَ عدتها.

إن الأمثلة في هذا كثيرة، وهكذا فكثرة علم العالم لا تستلزم اطلاعه على جميع النصوص، وإنّ ظن إحاطة العالم بجميع نصوص الشرع ومعانيها ظنٌّ لا يُغني من الحق شيئاً، وليس بصحيح قطعاً[٤١٤].

---

[٤١٤] أضواء البيان ٧ـ ٥٣٥ـ ٥٣٦.

الفتنة بالدنيا

لقد حذرنا الدين الإسلامي من الفتنة بالدنيا والتعلق بها والاغترار بزينتها، ليكون ذلك وقاية لنا من الانغماس فيها، قال رسول الله ﷺ: ﴿فَوَاللَّهِ ما الفَقْرَ أَخْشَى علَيْكُم، ولَكِنِّي أَخْشَى أنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ علَى مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا، وتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ﴾(صحيح البخاري، برقم ٤٠١٥.). وإذا كانت فتنة المسلمين هي المال، فما حظ المسلم العاقل من ماله إلا ما تصدق به، فتكون صدقاته عملاً له ينفعه! وماذا يبقى معه بعد موته غير عمله؟

إن المؤمن العاقل إذا وازن بين الدنيا وحقيقتها وبين الآخرة ونعيمها، ضمن العزة والكرامة، وحقق لأمته الإسلامية النصر، والتزم جادة الصواب في إيمانه وفكره، والاعتدال في سلوكه وتصرفاته. أليس من صفات المؤمنين أنهم: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾(سورة الفتح: ٢٩.)؟

إن وحدة القلوب والنفوس، ووحدة الهدف هي المنطلق للإصلاح والتقدم والرقي، وإن هذا العقاب الذي أنزله الله بنا كان بسبب ما غيّرنا بأنفسنا من الأخلاق وإهمال الأوامر والنواهي.

إن التراحم، والصفح عن الأذى، وستر الناس من أخلاق هذا الدين القويم:

وكن معدناً للخير واصفح عن الأذى فإنك راءٍ ما عمِلتَ وسامع

إن بين الإفراط والتفريط وسطاً هو الذي عليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى القسوة، وعن

المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة؛ لأن الشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه.

فيا عاقل! لا تركننّ إلى الدنيا، ولا تتخذنّها وطناً، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالعناية بها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تُشغلنّ فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله.

التراث وتلاميذ الجامعة الأمريكية

«إذا كان الإلحاد حرر الإنسان من الله، فإن التصوف حرره من الشريعة واضعاً الله في الإنسان»[٤١٥].

تلك هي بذرة من بذور مفهوم التراث في الجامعة الأمريكية...

إنّ ثمة فرقاً واسعاً بين نصارى الشرق الأوسط، ونصارى أمريكا، فنصارى الشرق الأوسط يقرون بوجود الإله، ولكنهم يعتقدون بأن المسيح ابن الله، وأن اليهود صلبوه ظلماً وبهتاناً، وكان من عدل الإله أن جعله يحمل وزر العالم إلى يوم القيامة!

أما نصارى أمريكا فتسميةٌ فقط، فإن صلتهم بالله صِفر، وقد عبثوا بالقيم الدينية وتنكروا للأديان، فهم إلحاديون، ومن هؤلاء تلميذ نشيط في الجامعة الأمريكية يلقب بـ«أدونيس»... تعمق أدونيس في فهم المنظومتين، فأطلق الشيطان الرجيم نعيقه قائلاً: «إذا كان الإلحاد حرر الإنسان من الله، فإن التصوف حرره من الشريعة واضعاً الله في الإنسان»»!

هذه المقولة قالها في رسالته «الدكتوراه» التي أشرفت عليها الجامعة الأمريكية في لبنان، فسُمي بعدها «المسلم الثاثر المستنير»، ثم طلع على شاشة «MBC» مع الأستاذ «محمد نصر» باسم الشعر المحدث، ليقول: «إنني مع الشياطين، ولست مع الملائكة؛ لأن الشياطين تحرش وتحرك وتدفع الشاعر لأنْ يفجر طاقاته الشعرية التي تلهج بالكفر والإباحية».

---

[٤١٥] الثابت والمتحول، لأدونيس، ص٩٨.

ومعلوم أن أدونيس هو القائل بوجود آيات قرآنية تتكلم عن الحب الجنسي، وآيات أخرى تثبت العلمانية...

طبعاً، الصرخة في الوادي لها صداها عند أصحابها من مستواها، والنفخة في الرماد لا تصيب إلا عين نافخها.

أما قوله: «إن التصوف حرر الإنسان من الشريعة واضعاً الله في الإنسان» فإن أصحاب الفرق الباطنية – التي ينتمي أدونيس إلى إحداها - كلهم يقولون هذا، إنهم لا يريدون التزاماً بتنفيذ الأركان، وفي الإسلام «من أنكر ركناً واحداً فهو كافر»، فكيف بمن يهدِم الأركان ويلغي الالتزام، ويضع الله في الإنسان. اللهم إنا نعوذ بك من الكفر. فالتصوف الذي تكلم عنه أدونيس تصوف غير ما التصوف الذي عليه أمثال الجنيد البغدادي ومعروف الكرخي وسهل التستري وشقيق البلخي والعز بن عبد السلام وعبد القادر الكيلاني، امتداداً إلى عبد القادر الجزائري وعبد القادر الحسيني وعز الدين القسام وعمر المختار، وإنما يتكلم عن تصوف معين يعرفه هو وأصحاب الفرق الباطنية، التي تسقط التكاليف الشرعية وتكتفي بالإيمان بفكرة لبّسها إبليس على أحد مراجعهم، أو اقتبسها من الديانات الوثنية، وراح يروج لها أتباعه باسم التصوف. أما التصوف الإسلامي الحقيقي فهو نقي لا يخرج عن الكتاب والسنة، وهو الذي كان عليه أعلام التصوف الذين ذكرناهم.

حكاية تحرير المرأة

هي الشمس الطالعة حين تصير الحياة غيماً وبرقاً ورعداً...

هي النسيم العليل حين تصير الحياة قيظاً وحميماً وخنقاً...

إنها المرأة؛ تشارك الرجل في العطاء، فهي شِقه، وهو شِقها.

ـ ولكي تنبت النبتة لا بد من بذرها بشِقيها معاً، فالشق الواحد لا ينبت بمفرده، ومن ثَم لا يزهر ولا يثمر.

ـ ولكي تنبت الأسرة لا بد من بذرها بنوعيها معاً، فالرجل وحدَه لا ينبت، كما أن المرأة لا تنبت بمفردها، ومن ثم لا تزهر ولا تثمر. وإذا فهم كل من الرجل والمرأة دوره الذي يكمل دور الآخر صلحت الأسرة التي هي نواة الأمة، تلك الأمة التي تُظل بظلها كل من يدين بدين الإسلام، ويتخلقون بخُلُق القرآن.

لقد عاد رفاعة الطهطاوي من البعثة التعليمية من فرنسا مقتنعاً بأن الحضارات يستفاد من إشعاعها، ولكن لا يمكن أن تنقل من جذورها، حتى تغرسَ في تربة غريبة عنها في كل شيء، ثم يتوقع لها أن تؤتيَ أكُلَها... ثم تخلى الرجل ـ بمحض إرادته ـ إلى الشيخ محمد عبده، غير أن الأفغاني أزاح محمد عبده، وتزعم الحركة السياسية والإصلاحية، لكنه اضطر إلى مغادرة مصر؛ لأنه كان خطراً على سياسة الإنجليز، ولأنه ثوري، ثم حل محله محمد عبده الذي كان يمثل التيار المعتدل، والذي بنى خطته على

الإصلاح الاجتماعي، ونشر التربية والتعليم، ثم جاء تلميذه سعد زغلول الذي مثّل «حزب الأمة»، وتعاون مع الإنجليز، وأخذ بالثقافة الأوروبية حتى يسير الإصلاح بخُطاً معتدلة عبر قنوات هادفة ـ وهذا أفضل من الصدام ـ ثم أصدر هذا الحزب صحيفة «الجريدة» في ١٩٠٧/٣/٩م، فكان أحمد لطفي السيد منشئها. إن حزب الأمة عبّر عن معادلة صعبة تجمع بين ما في خير الإسلام، والعِلم الأوروبي، والتوفيق بينهما.

وهكذا أنهى حزب الأمة علاقاته بالجذور القديمة الإسلامية، وصفى آثارها تماماً، ليهيئ للفكر «العلماني» الذي أطبق على البلاد من دون شريك، وفرض أسلوب الغرب في الحكم والتربية والتشريع والاقتصاد.

أحمد لطفي السيد كتب مقالاتٍ عدةً قبل أن ينشئ صحيفة الجريدة، فكانت بعنوان «مشخصات الأمة»، نادى فيها بإصلاح الحروف العربية، كي يقرأ القارئون اللغة قراءة صحيحة من غير أن يتعلموا النحو والصرف.

وهنا، برزت فكرة «المِصرية» وكان هدفها الاستقلال، وسلوك طريقة مصرية للرقي تحذو حذو المدنية الغربية، وكان من بين أهدافها تحرير المرأة؛ أي أن الحركة النسائية كانت ضمن حركة «المصرية» والدليل على ذلك ما قاله أحمد لطفي السيد في مذكراته، إذ قال:

«مكثت في جنيف سنة ١٨٩٧م أقضي الأشهر الأولى في الدراسة وحضور بعض المحاضرات بالجامعة... حتى أقبل الصيف فجاءني فيها الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين...

وكان قاسم أمين وقتئذ يؤلف كتاب «تحرير المرأة» فقرأ علينا فصولاً منه مدة إقامته بيننا، ثم سافر مع سعد زغلول من سويسرا، وبقي معي الشيخ محمد عبده...».

نعم... أخرجوها بدعوى العلم، وأخذوا ينادون بحريتها ومساواتها بالرجل، فخالفت فطرتها، وامتدت بها الحرية فنالت من بعض معاني الدين والشرف والفضيلة والعرف الاجتماعي... فاختلط الحابل بالنابل، وانغمس السم بالعسل، حتى نسجت الأكفان للأبرياء والبريئات بعد أن غُرروا بالعسل الصافي، ولكنه ممزوج بالسم الزعاف، فطلعت علينا المؤتمرات التالية:

١ـ المؤتمر الأول للمرأة: عقد في أمريكا الجنوبية في المكسيك.

٢ـ والمؤتمر الثاني للمرأة: عقد في أوروبا بالنمسا.

٣ ـ والمؤتمر الثالث للمرأة: عقد في إفريقية في نيروبي.

٤ـ والمؤتمر الرابع للمرأة: عقد في آسيا ممثَّلة بالصين.

وهنا أمران:

الأول: أن هيئة الأمم المتحدة تهدف دائماً إلى توزيع مؤتمراتها وتوزيعها على العالم.

الآخَر: أن جميع هذه الدول نامية.

ولعلنا نقف أمام توصيات مؤتمر بكين العالمي للمرأة، لنناقشها بهدوء، وهي:

١ ـ إزالة جميع أشكال العنف ضد المرأة.

٢ ـ المشاركة الاقتصادية والسياسية وصناعة القرار.

٣ـ زيادة مساهمتها في وسائل الإعلام.

٤ ـ تأكيد ضرورة تحقيق المساواة بينها وبين الرجل في جميع المجالات.

لقد كانت هذه التوصيات ـ على علاتها ـ شاملة كلَّ المجتمعات من غير تفريق بين المجتمعات الإسلامية وبعض المجتمعات المسيحية، كالفاتيكان، وبين المجتمعات العلمانية التي تنادي بفصل الدين عن الدولة ـ كما سمعت من الشاعرة السيدة مي الريحاني في لقائها على الهواء مع الأستاذ الفاضل عباس متولي ـ بأن النساء المسيحيات اللائي قدمن إلى مؤتمر بكين كن ينادين بفصل الدين عن الدولة...

لا شك في أن البحث في قضية المرأة خطوة بناءة يستحق الداعون إليها كل احترام وتقدير. لكن المشكلة قائمة، وتكمن في طريقة العلاج والحلول المطروحة التي لم تكن مقبولة ومناسبة عند غالبية المسلمين، وعند كثير من المحافظين من غير المسلمين... ومن هنا تتبادر أسئلة متعددة إلى الأذهان:

١ ـ لماذا اختيرت بكين مقراً للمؤتمر، ومعلوم أن الصين بعيدة عن مفاهيم الديمقراطية والحرية والمساواة.

٢ـ لماذا مشكلة المرأة بالذات؟

٣ ـ ما موقف الإسلام من المرأة (الإجهاض، نشر الثقافة الجنسية...)؟

الأمر الثاني: طبعاً، اختيرت بكين؛ لأنها المكان الوحيد في العالم الذي ينبذ الأديان، ويحارب جميع المعتقدات، ويهدم كل الأسس الأخلاقية، ولعلنا كَوَّنّا فكرة عن ثورة «الماوتسيين» التي تعني هدم كل قديم من الأخلاق والأعراف والتقاليد، فكأن المنظمين للمؤتمر يوحون للمشاركين أن يقولوا ما يشاؤون، وأن يحطموا كل القيود، وأن ينفلتوا من كل التقاليد، وأن يمزقوا كل الأعراف، وأن يخرجوا عن كل المبادئ؛ لأنهم في أرض لا تقدس أي شيء، ولا تحترم أي أصل من الأصول الفطرية أو العقائد أو الشرائع.

إن الصين بالذات تعدّ حالياً في نظر الغرب مجالاً للتأثير ونشر ما يسمى بالقيم الديمقراطية، وتعتقد الصين أن في تبنيها للمؤتمر واحتضانها له فائدة في دعم التوجه الديمقراطي هنا.

ثم يسترعي انتباهنا السؤال التالي:

لماذا اختارت الأمم المتحدة المرأة قضية كبرى في النقاش ولم تختر ـ مثلاً ـ قضية المشردين أو اللاجئين؟

أنا أرى المؤتمر أكذوبة، ووسيلة للتحايل على قيم الشعوب وأخلاقها الفاضلة: يريدون المرأة مظهرة مفاتنها الجنسية من دون قيد!

إن أول ما ظهرت قضية المرأة ظهرت في الغرب، عندما كانت تتقاضى نصف أجر الرجل عن فترة ومكانة وطبيعة العمل نفسها... وتطورت المسألة عندهم، حتى وصلت إلى المطالبة بالمساواة التامة مع الرجل في

كل شيء... والذي دفعها إلى المناداة بالمساواة هو شعورها بالتمييز النابع أصلاً مما ورثه الغرب من عقيدة في المرأة بأنها «شرٌّ كلها»، وبأنها صورة شيطانية تمثلت بصورة إنسان. وفي رأيي أنه يوجد تمايز بين الرجل والمرأة، فأصل الخليقة ذكر وأنثى... وأصل النجاح في المدرسة مديرها، والمؤسسة الناجحة تكون بنجاح مديرها...

أما رد المسلمين على توصيات مؤتمر المرأة فسهل جداً:

* العنف ضد المرأة:

القضية محسومة عندنا ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[٤١٦].

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٤١٧].

﴿النِّساءُ شقائقُ الرِّجالِ﴾[٤١٨].

وفي الأثر: «ما أكرم النساءَ إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم».

﴿خيرُكم خيرُكُم لأهلِهِ وأنا خيرُكُم لأهلِي﴾[٤١٩].

أما أولئك اللؤماء الذين يضربون نساءهم فإنهم قوم مخالفون بعيدون عن منهج الأديان السماوية.

* كان المؤتمر دعوة ضمنية لشعوب العالم إلى التقسيم والانحلال وإلى حرية الشذوذ بين النساء، وبين النساء والرجال، في غير موضع الحرث،

---

[٤١٦] سورة النساء: ١٩.

[٤١٧] سورة البقرة: ٢٢٨.

[٤١٨] صحيح أبي داوود، برقم ٢٣٦.

[٤١٩] فتح القدير، للشوكاني ٦٣٥/١.

وبين الرجال والرجال... وقد دعا المؤتمر الشاذين إلى حضور جلسته...

* إن الدين الإسلامي يقضي على كل أشكال التمييز ضد المرأة، فقد جعل لها الإسلام من الحقوق التي تتساوى مع حقوق الرجل، ولكن طبيعة الجماعة أن يتولى فرد منها رعاية شؤونها.
أما القوامة للرجل فتكليف، لا تشريف، مع احتفاظ المرأة بكل مقومات شخصيتها.

* إن تزويج المرأة لا يتم في الإسلام إلا باستئذان والدها لها، فإن فرض عليها أهلها الزواج ممن لا ترغب فيه، لجأت الفتاة إلى القاضي، ليتولى هو عقد نكاحها من ذلك الزوج الذي اختارته شريكاً لحياتها.

* الزوجة تقوم على خدمة البيت ورعايته، وأما الزوج فإنه يقوم بما كان خارجاً عن البيت من عمل، والآية واضحة: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[٤٢٠].
وأعتقد جازماً أنه لا يستقيم مع العدالة أن يكلِّف فرداً بالإنفاق من دون الإشراف على الجماعة التي ينفق عليها، ذلك بأن الأسرة مؤسسة تحتاج إلى من يشرف عليها ويديرها.

* إن قسمة الميراث هي قمة العدالة:
فالرجل يدفع المهر، ويجهز البيت، ويتولى الإنفاق على الزوجة والأبناء...

---

[٤٢٠] سورة النساء: ٣٤.

والمرأة تأخذ المهر، ولا تلزم ـ في الإسلام ـ بالإسهام في نفقات البيت أو على نفسها أو على ولدها...

ثم أعطاها بعد ذلك نصف ما يأخذ الرجل ميراثاً في بعض الحالات، وتساوت معه في حالات أخرى؛ لأن نصيب المرأة في الميراث يختلف بحسب قرابتها من الرجل المتوفى، فتأخذ البنت نصف نصيب أخيها من التركة: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾[٤٢١].

فإن لم يكن لها أخ أخذت نصف التركة: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾[٤٢٢].

فإن كانت البنات أكثر من واحدة فلهن ثلث التركة: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾[٤٢٣].

ـ وللأب السدس، وللأم السدس في تركة ابنها إذا كان له ولدٌ، ذَكَراً كان أم أنثى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾[٤٢٤].

وهكذا يتضح لنا التساوي في الميراث بين الرجل والمرأة؟ وأقول إنه حتى في مسألة النصف المزعومة نرى فهماً في المعنى الفهمَ الخاطئَ، وذلك بمثال سهل، يتضح ـ بالحساب ـ أمره على حقيقته:

عندنا أخ وأخت. ورث الرجل ٢٠٠,٠٠٠ دولار، وورثت الأخت ١٠٠,٠٠٠ دولار.

---

[٤٢١] سورة النساء: ١١.
[٤٢٢] سورة النساء: ١١.
[٤٢٣] سورة النساء: ١١.
[٤٢٤] سورة النساء: ١١.

دفع الرجل ٥٠,٠٠٠ دولارٍ مَهراً، ودفع ٥٠,٠٠٠ أثاثاً، فماذا بقي عنده؟ لقد بقي عنده ١٠٠,٠٠٠ دولار، في حين صار عند الفتاة ١٥٠,٠٠٠ فضلاً عن البيت المفروش بالأثاث...

* أما مسألة المرأة والقضاء، فالأمر فيه سَعة، فقد ذهب الأحناف إلى صحة قضاء المرأة مطلقاً[٤٢٥]... لقد قالوا: إن المرأة تكون مفتية، وتكون قاضية، وقد كانت «الشفاء» قاضية في المدينة المنورة، وقد ولاها قضاء الحسبة عمر بن الخطاب؛ لأنها كانت تعرف الحرام والحلال، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

* فهل درينا بحال المرأة قبل الإسلام؟
كانت تُوْأد، وكانت متاعاً لا قدْر لها، وإذا احتُرمت فلأنها ولود، والاحترام لأبنائها الرجال وليس لها! إنها امرأة...
- في الهند كانت تدفن مع زوجها، إذا توفي وهي على قيد الحياة.
- المرأة في أوروبة مبتذلة، رخيصة تستخدم في الدعاية، وترويج البضائع، وجلب العملاء...

* الإسلام أعاد للمرأة إنسانيتها:
- قرر للمرأة أهليتها الاجتماعية، فهي مسؤولة عن رعيتها.
- قرر للمرأة أهليتها العبادية (الصلاة، الحج، الصوم...).

---

[٤٢٥] الطبري، وابن حزم.

ـ قرر للمرأة أهليتها التعليمية، فالعلم فرضٌ واجب على كل مسلم، ذكراً كان أم أنثى.

ـ قرر أهليتها الاقتصادية والسياسية، فمَن ملك مالاً كان له حقُّ تنميتِه والاتّجار به (فضلاً عن المهر والميراث).

ـ قرر للمرأة الاحتفاظ بنسبها إلى والدها، ولم يجرّدها منه وينسبها إلى زوجها.

* ألم تقف المرأة أمام الخليفة عمر عندما أراد تحديد المهور رادة عليه بقوله تعالى: ﴿... وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا...﴾[٤٢٦]. فأذعن عمر وقال: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

* إن الإسلام دعا الرجال إلى الإحسان إلى المرأة أمّاً وزوجة وبنتاً، فأوصى بالأم ثلاثاً، وقال في الزوجة: ﴿واسْتَوصُوا بِالنِّساءِ خيراً، فإنما هنَّ عوانٌ عندَكم﴾ [٤٢٧]، وقال رسول الله ﷺ في البنت والأخت: ﴿مَن عالَ ابنتينِ أو ثلاثًا، أو أختينِ أو ثلاثًا حتَّى يَبِنَّ، أو يَموتَ عنهنَّ؛ كنتُ أنا وهوَ في الجنَّةِ كَهاتينِ. وأشار بأُصْبُعيهِ السبَّابةَ والتي تلِيهَا﴾[٤٢٨].

فأي تكريم أعظم من هذا الذي نقرؤه؟!

* أما عمل المرأة فأباحه الإسلام، قال ﷺ ﴿قَدْ أذِنَ اللَّهُ لَكُنَّ أنْ تَخْرُجْنَ لِحَوائِجِكُنَّ﴾[٤٢٩].

---

[٤٢٦] سورة النساء: ٢٠.
[٤٢٧] من خُطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع، سنن الترمذي، برقم ١١٦٣.
[٤٢٨] صحيح الترغيب، للألباني، برقم ١٩٧٠.
[٤٢٩] صحيح البخاري، برقم ٥٢٣٧.

إن السيارة إذا سارت من غير فرامل ضاعت الطاسة، لكن عندما تنضبط الأمور، تكون المرأة والدنيا بألف خير.

إن عمل المرأة عامة، والمسلمة خاصة، شرف للخلق ـ وهم عيال الله ـ وذلك عندما تعمل مع مثيلاتها، وهنا نقطة مهمة جداً:

إن أردنا فعلاً إنصافَ المرأة، فالمفروض أن تكون ساعات عملها نِصفَ ساعاتِ عمل الرجل، وذلك بُغية التوفيق بين عملها في بيتها وواجباتها المنزلية، ومن أجل ألا يختلَّ التوازن ويحرم الزوج والأبناء من رعايتها وحنانها.

* أما الإجهاض فعائدٌ أمرُه إلى ضوابطَ دينيةٍ، وضوابطَ اجتماعيةٍ، وضوابطَ صحيةٍ...فإن لم يكن هناك ما يدفع إلى الإجهاض فلماذا يكون؟

قرأت هذا «It's a Child not a Choice» عن الإجهاض عند من لا يدينون بدين الإسلام، ومعنى العبارة: «إنه طفل (روح) وليس مسألة اختيار»، فكيف عند المسلمين وهم يعلمون أن الروح من أمر ربي، وأن الرب ـ سبحانه وتعالى ـ ينفخ فيه الروح في الشهر الرابع؛ أي بعد مئة وعشرين يوماً من الحمل؟!

ـ وأما تحديد النسل، فإنه باتفاق الزوجين، فهو قرار مشترك.

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، ويفهِّمنا، ويفقهنا في ديننا. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

دلالـة الكلمـة

«الكفر» بمعنى المعصية: كما في قوله ﷺ، لما سألته المرأة عن سبب كون النساء أكثر أهل النار، لأن ذلك واقع بسبب كفرهن، ثم فسره بأنهن ﴿يَكْفُرْنَ العَشِيْرَ ويَكْفُرْنَ الإحْسَانَ﴾[٤٣٠].

«الكفر» بمعنى المخرج عن الملة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[٤٣١]

«الظلم» بمعنى «الكفر» المخرج عن الملة: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٤٣٢].

«الظلم» بمعنى «المعصية»: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾[٤٣٣]

«الفسق» بمعنى «الكفر»: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾[٤٣٤]

«الفسق» بمعنى «المعصية»: قول الله سبحانه في الوليد بن عقبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[٤٣٥]

---

[٤٣٠] صحيح البخاري، برقم ٢٩.
[٤٣١] سورة الكافرون: ١، ٢.
[٤٣٢] سورة لقمان: ١٣.
[٤٣٣] سورة فاطر: ٣٢.
[٤٣٤] سورة السجدة: ٢٠.
[٤٣٥] سورة الحجرات: ٦.

الفتنـة

١ـ قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٤٣٦]. أمر الله تعالى الناسَ في هذه الآية الكريمة أن يعلَموا أن أموالهم وأولادهم فتنة يُختبرون بها، هل يكون المال والولد سبباً للوقوع في ما لا يرضي الله سبحانه وتعالى؟

٢ ـ وهذه الآية فيها فتنة الأزواج فضلاً عن الأموال والأولاد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٤٣٧].

٣ ـ وهذه آية تنهى المؤمنين عن أن تلهيَهم الأموال والأولاد عن ذكر الله، سبحانه وتعالى، وتبيّن أنّ من وقع في ذلك فهو الخاسر المغبون في حظوظه، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٤٣٨].

فالمراد بالفتنة في هذه الآيات: «الاختبار والابتلاء»، وهو أحد معاني «الفتنة» في القرآن الكريم.

قال ﷺ: ﴿إن السعيد لَمَن جُنِّب الفتن، ولمن ابتُلي فصبر﴾[٤٣٩].

---

[٤٣٦] سورة الأنفال: ٢٨.
[٤٣٧] سورة التغابن: ١٤-١٥.
[٤٣٨] سورة المنافقون: ٩.
[٤٣٩] صحيح أبي داود، برقم ٤٢٦٣. قال الألباني إسناده صحيح على شرط مسلم، س.أ ٧٠٣/٢.

الفعل «كفى» في القرآن الكريم واللغة العربية

هذا الفعل يستعمل متعدياً، وهو يتعدى غالبا إلى مفعولين، وفاعله لا يجر بالباء، كقوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾[٤٤٠]، وقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾[٤٤١] ونحو ذلك من الآيات.

ويستعمل الفعل «كفى» لازماً، ويطّرد جر فاعله بالباء الزائدة، لتوكيد الكفاية، كقوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٤٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[٤٤٣]، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[٤٤٤] ونحو ذلك.

ويكثر إتيان التمييز بعد فاعلها المجرور بالباء... وزعم بعض العلماء أن جر فاعلها بالباء لازم. والحق أنه يجوز عدم جره بها، ومنه قول الشاعر:

عميرةَ ودِّعْ إن تجهزتَ غازيا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

---

[٤٤٠] سورة الأحزاب: ٢٥.
[٤٤١] سورة البقرة: ١٣٧.
[٤٤٢] سورة الإسراء: ١٤
[٤٤٣] سورة الأحزاب: ٣.
[٤٤٤] سورة الأحزاب: ٣٩.

عمل الكافر في الدنيا

إن الكافر يطعم بحسناته ما عمل بها في الدنيا فقط، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها. قال رسول الله ﷺ: ﴿إنَّ الكافِرَ إذا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بها طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيا، وأَمَّا المُؤْمِنُ، فإنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ له حَسَناتِهِ في الآخِرَةِ ويُعْقِبُهُ رِزْقًا في الدُّنْيا علَى طاعَتِهِ﴾[٤٤٥].

نعم إن الكافر ينتفع بعمله الصالح في الدنيا، كبرّ الوالدين، وصلة الرحم، وإكرام الضيف والجار، والتنفيس عن المكروب ونحو ذلك، كله مقيد بمشيئة الله سبحانه وتعالى، كما نص على ذلك بقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ...﴾[٤٤٦]

إن هذه الآية الكريمة مقيدة، والمقرر في الأصول أن المقيد يقضي على المطلق، ولا سيما إذا اتحد الحكم والسبب كما هنا:

وحمل مطلق على ذاك وجب إنْ فيهما اتحد حكمٌ والسببْ[٤٤٧]

---

[٤٤٥] صحيح مسلم، برقم ٢٨٠٨.
[٤٤٦] سورة الإسراء: ١٨.
[٤٤٧] مراقي السعود، لعبد الله العلوي الشنقيطي.

التواضـــع

التواضع صفة وخلق رفيع، من تحلى به ساس نفسه، ومن ساس نفسه ساد الناس.

وقد سئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال: «يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله»، وقال ابن عطاء: «العز في التواضع».

لقد ساد رسول الله ﷺ الأمة، وساس الناس، وهو سيد ولد آدم وخير الناس:

- كان إذا صافح الرجل لا ينزع يده حتى ينزعها الرجل.
- كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم.
- كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم.

١ـ المتواضع ليّن، سهل المعشر، يفتح له الآخرون قلوبهم.

٢ـ المتواضع أقدر الناس على الاعتراف بأخطائه، وهذا الاعتراف لا يسلبه احترام الآخرين.

٣ ـ المتواضع يعطي الناس حقهم وقدرهم.

٤ ـ إن مدّعي التواضع، إذا كان رئيساً، فإنه لا يمكن أن يخدع مرؤوسيه طويلاً، ولا بد أن تكشفه الأيام والنوائب، أما إذا كان متواضعاً أمام نفسه فإنه يبقى قوياً أمام الآخرين.

٥ ـ المتواضع تأبى نفسه أن يكون أنانياً؛ لأن الأنانية وليدة الغرور، ولا يجتمع متضادان في نفس واحدة، وعليه فإن القائد المتواضع هو الذي يعيش ليحقق أهداف الجماعة والمصلحة العامة.

٦ ـ المتواضع أعظم من أن يجعل لحب الظهور مدخلاً لنفسه.

ولا عجب في ذلك فمن كانت حاله ما أسلفناه من التواضع أحبه الناس، ورحم الله عمر بن عبد العزيز، لقد كان متواضعاً، وكان قائداً أحبه الناس، يقول سهيل بن أبي صالح: «كنت مع أبي غداة عرفة، فوقفنا لننظر إلى عمر بن عبد العزيز وهو أمير الحجاج، فقلت يا أبتاه والله إني لأرى الله يحبه. قال: بمَ؟ قلت: لما أراه دخل له في قلوب الناس من المودة».

من قواعد التعليم

١ ـ عدم الإكثار من مجالس العلم، وعدم تطويلها، وذلك ليستوعب الطالب ما حصله من علم، وكي لا يمل.

٢ ـ عدم تحديث الناس بالعلم وهم منصرفون عنه، فلا بد من إيجاد جو من الرغبة في العلم في نفوسهم ليلقى إليهم ذلك العلم.
قال ابن عباس لعكرمة: «حدِّث الناس مرة في الجمعة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرتَ فثلاثاً، ولا تُملَّ الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم، فتقص عليهم، فتقطع عليهم حديثهم، فتملَّهم، ولكن أنصِت، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهون»[٤٤٨].

٣ ـ إلقاء الحديث بعبارة سهلة وبغير تكلف، قال ابن عباس لعكرمة «وانظر السجع فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم لا يفعلونه».

٤ ـ مراعاة مستوى المتعلمين، فلا يطرح عليهم من دقائق العلم ما لا يقدرون على فهمه، يروي ابن عباس في ذلك عن رسول الله ﷺ، فيقول: يا رسول الله، ما نسمع منك نحدّثُ به كله؟ فقال: ﴿نعم، إلا أن تحدث قوماً حديثاً لا تضبطه عقولهم، فيكون لبعضهم فتنة﴾، فكان ابن عباس يكنّ أشياء عن قوم ويُفشيها إلى قوم[٤٤٩].

---

[٤٤٨] فتح الباري ١١ ـ١١٧.
[٤٤٩] كنز العمال ٣٠٧/١٠.

٥ ـ أن يشتغل الطالب نفسه بالسماع والتدوين وغير ذلك، لأنه أحفظ له، ولا يجوز للمعلم أن يدون للطالب مسائل العلم في دفتره، بل يدونها الطالب نفسه، فقد سأل رجل من أهل نجران ابن عباس، فأعجب ابنَ عباس حُسن مسألته، فقال الرجل: اكتب لي، فقال ابن عباس: إنا لا نكتب العلم[٤٥٠].

إن العلم وقور، إن لم تعطه كلك لا يعطِك بعضه.

[٤٥٠] مصنف عبد الرزاق ٢٥٨/١١.

العبرة بحُسن العمل وليس بكَثرته

إذا علم العاقل أن الحكمة التي خلق من أجلها هي أن يُبتلى، أي يُختبر بإحسان العمل، فإنه يهتم كل الاهتمام بالطريق الموصلة إلى نجاحه في هذا الاختبار.

ولهذه الحكمة الكبرى سأل النبي ﷺ جبريل عن هذا ليعلمه لأصحاب النبي ﷺ، فقال: ﴿أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسانِ. فقال: الإحسانُ أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإنَّهُ يَراكَ﴾[٤٥١] فبين النبي ﷺ أن الطريق إلى ذلك هذا الواعظ الزاجر الأكبر الذي هو مراقبة الله تعالى، والعلم بأنه لا يخفى عليه شيء مما يفعل خلقه، وهو الذي خلق الخلق لأجل الاختبار فيه.

ولقد ضرب العلماء لهذا الواعظ الأكبر والزاجر الأعظم مثلاً ليصير به كالمحسوس، فقالوا: «لو فرضنا أن ملكاً قتّالاً للرجال، سفاكاً للدماء شديد البطش والنكال على من انتهك حرمته ظلماً، وسيّافه قائم على رأسه، والنطع مبسوط للقتل، والسيف يقطر دماً، وحول هذا الملك الذي هذه صفته جواريه وأزواجه وبناته، فهل ترى أن أحداً من الحاضرين يهم بريبة أو بحرام يناله من بنات ذلك الملك وأزواجه وهو ينظر إليه، عالم بأنه مطلع عليه؟ لا، وكلا».

بل إن جميع الحاضرين يكونون خائفين وجِلة قلوبُهم، خاشعةً عيونهم، ساكنة جوارحهم خوفاً من بطش ذلك الملك.

---

[٤٥١] مسند أحمد بن حنبل، ١٨٢/١.

لا ريب ـ ولله المثل الأعلى ـ أن رب السموات والأرض جل وعلا أشد علماً، وأعظم مراقبة، وأشد بطشاً، وأعظم نكالاً وعقوبة من ذلك الملك، وحِماه في أرضه محارمُه. فإذا لاحظ الإنسان الضعيف أن ربه جل وعلا ليس بغائب عنه، وأنه مطلع على ما يقول وما يفعل وما ينوي، لانَ قلبه وخشيَ الله تعالى وأحسنَ عمله لله جل وعلا؟

معاملة شيطان الإنس وشيطان الجن

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۝ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤٥٢]. بيّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة ما ينبغي أن يعامل به الجهلة من شياطين الإنس والجن. فبين أن شيطان الإنس يعامَل باللين، وأخذ العفو، والإعراض عن جهله وإساءته، وأن شيطان الجن لا منجى منه إلا بالاستعاذة بالله منه. هذا الذي ذكر في هذه الآية ذكر في موضعين آخرين:

الأول: في سورة «الْمُؤْمِنُونَ» قال فيه في شيطان الإنس: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[٤٥٣]. وقال في الآخر: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[٤٥٤].

والثاني: في سورة «فصلت» قال في في شيطان الإنس: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٤٥٥] وزاد هنا أن ذلك لا يعطاه كل الناس، بل لا يعطيه الله إلا لذي الحظ الكبير عنده، فقال: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٤٥٦]، ثم قال في شيطان الجن: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤٥٧].

---

[٤٥٢] الأعراف ١٩٩-٢٠٠.
[٤٥٣] سورة المؤمنون: ٩٦
[٤٥٤] سورة المؤمنون: ٩٧، ٩٨.
[٤٥٥] سورة فصلت: ٣٤.
[٤٥٦] سورة فصلت: ٣٥.
[٤٥٧] سورة فصلت: ٣٦.

من آداب الضيافة

الكرم من سمات المؤمنين، والمؤمن يفرح بالضيف، لأنه يعلم أن رزقه ورزق ضيفه بيد الله، وأنه يفوز بالمغفرة بضيافته، لقول الرسول ﷺ: ﴿إذا دخلَ الضَّيفُ على قومٍ دخلَ بِرِزقِه، وإذا خرجَ خرجَ بمغفِرةِ ذنوبِهِم﴾[٤٥٨].

ومن آداب الضيافة:

تعجيل القِرى: لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[٤٥٩].

ومنها: كون القرى من أحسن ما عنده.

ومنها: تقريب الطعام إلى الضيف.

ومنها: ملاطفته بالكلام بغاية الرفق، كما في قوله تعالى ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[٤٦٠].

وهذا كله مستنبط من قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۞ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۞ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ...﴾[٤٦١].

---

[٤٥٨] مختصر المقاصد، للزرقاني، برقم ٥٦، حكم المحدّث: حسن لغيره.
[٤٥٩] سورة هود: ٦٩.
[٤٦٠] سورة الذاريات: ٢٧.
[٤٦١] سورة الذاريات: ٢٤-٢٧.

الحــقُّ حـــقٌّ

لا تحقِرنّ الرأي وهو موافق حكمَ الصواب إذا أتى من ناقصِ
فالدرُّ وهو أعز شيءٍ يقتنى ما حطَّ قيمتــَه هوانُ الغائـــصِ

نعم. إن الحق حق ولو كان قائله حقيراً. ألا ترى أن ملكة سبأ، التي كانت تسجد للشمس من دون الله، هي وقومها، لمّا قالت كلاماً حقاً صدقها الله فيه، ولم يكن كفرها مانعاً من تصديقها في الحق الذي قالته، وذلك في قولها في ما ذكر الله عنها:﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾، فقد قال تعالى مصدقاً لها في قولها: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٤٦٢].

[٤٦٢] سورة النمل: ٣٤.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤٦٣]

الآلاء هي النعم ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[٤٦٤]. ومن نعمه سبحانه وتعالى معرفة عباده عدد السنين والحساب، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٤٦٥]، لأنهم باختلاف الليل والنهار يعلمون عدد الأيام والشهور والأعوام، ويعرفون بذلك يوم الجمعة ليصلوا فيه صلاة الجمعة، ويعرفون شهر الصوم، وأشهر الحج، ويعلمون مضي أشهر العدة لمن تعتد بالأشهر المشار إليها في قوله عز وجل: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾[٤٦٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[٤٦٧]، ويعرفون مضي الآجال المضروبة للديون والإجارات وغير ذلك...

---

[٤٦٣] سورة الرحمن: ٦٩.
[٤٦٤] سورة النحل: ١٨.
[٤٦٥] سورة يونس: ٥.
[٤٦٦] سورة الطلاق: ٤.
[٤٦٧] سورة البقرة: ٢٣٤.

مختارات من قراءاتي

ـ قال الأحنف: «إياك وما يعتذر منه، فإنه قلما اعتذر أحد فسلم».

ـ وقال: «إذا اعتذر إليك معتذر فلتلقه بالبشر»[٤٦٨].

«إنه لمن أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت.[٤٦٩].

ـ ﴿أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه﴾[٤٧٠].

ـ ﴿المؤمِنُ يألَفُ ويُؤلَفُ ولا خيرَ فيمَن لا يألَفُ ولا يُؤلَفُ﴾[٤٧١].

ـ "إنَّ مِنْ شَرِّ النّاسِ مَنِ اتَّقاهُ النّاسُ لِشَرِّهِ﴾[٤٧٢].

ـ قال أحد الصالحين: «من عمّر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشبهات، واغتذى بالحلال، لم تخطئ له فِراسة»[٤٧٣].

قال ابن تيمية: «المؤمن يفعل سيئة، فإن عقوبتها تندفع عنه بعشرة أسباب:

١ـ أن يتوب فيتوب الله عليه.

٢ـ أو يستغفر فيغفر له.

٣ ـ أو يعمل حسنات تمحوها ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٤٧٤].

---

[٤٦٨] بهجة المجالس لابن عبد البر ٤٨٦/٢.
[٤٦٩] شرح العقيدة الطحاوية ٤٣٢/٢.
[٤٧٠] المعجم الصغير، للطبراني، ١٨٢/١ من حديث أبي هريرة.
[٤٧١] مجمع الزوائد، للهيثمي، ٩٠/٨.
[٤٧٢] صحيح البخاري ٥٦٣٨ في الأدب.
[٤٧٣] تزكية النفوس جمع أحمد فريد ص ٣٩.
[٤٧٤] سورة هود: ١١٤.

٤ ـ أو يدعو له إخوانه المؤمنون ويستغفرون له حياً وميتاً.

٥ ـ أو يهدون إليه من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به.

٦ ـ أو يشفع فيه نبيه محمد ﷺ.

٧ ـ أو يبتليه الله بمصائب تكفّر عنه.

٨ ـ أو يبتليه في البرزخ بالصعقة بما يكفّر بها عنه.

٩ ـ أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفّر بها عنه.

١٠ ـ أو يرحمه أرحم الراحمين.

فمن أخطأ ته هذه العشر فلا يلومن إلا نفسه.

ـ عن المسود بن شداد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ﴿مَنْ أكَلَ بِرَجُلٍ مسلمٍ أكلةً فإنَّ اللهَ يُطعِمُه مثلَها من جهنمَ، ومن كُسىَ ثوبًا برجلٍ مسلمٍ فإن اللهَ يكسوه مثلَه من جهنمَ، ومن قام برجلٍ مقامَ سمعةٍ ورياءٍ، فإن اللهَ يقومُ به مقامَ سمعةٍ ورياءٍ يومَ القيامةِ﴾[٤٧٥].

نعم: إن الجزاء من جنس العمل.

ـ عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

﴿إنَّ مِنْ أرْبَى الرِّبا الاسْتِطالةُ فِي عِرْضِ المُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[٤٧٦].

فإطالة اللسان في عرض المسلم باحتقاره والترفع عليه والوقيعة فيه بقذف أو سب هو أكثر الربا وأشده تحريماً لأن العرض أعز على النفس

---

[٤٧٥] أخرجه أبو داود برقم ٤٨٨١، كتاب الأدب: باب الغيبة ١٩٥/٥. والحاكم في المستدرك ٢٨/٤. وصححه ووافقه الذهبي، ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٤٣/٢ برقم ٢٣٤.

[٤٧٦] أخرجه أبو داود برقم ٤٨٨١ في الأدب، باب الغيبة. وأحمد في مسنده ١٩٠/١. وصحيح الجامع للألباني ٤٤٢/٢.

من المال. وقد أدخل النبي ﷺ العرض في جنس المال على سبيل المبالغة، وجعل الربا نوعين: **متعارف:** وهو ما يؤخذ من الزيادة على ماله من المديون. **وغير متعارف:** وهو استطالة الإنسان في عرض المسلم بغير حق، وبين أن الثاني أشد النوعين تحريماً، وهو الاستطالة في عرض المسلم بغير حق(٤٧٧).

ـ قال الفضيل بن عياض، رحمه الله: «من أراد أن يسلم من الغيبة فليغلق على نفسه باب الظنون، فمن سلم من الظن سلم من التجسس، ومن سلم من التجسس سلم من الغيبة»(٤٧٨).

ـ قال عبد الرحمن بن مهدي، رحمه الله: «لولا أني أكره أن أعصي الله لتمنيت أن لا يبقى أحد في المصر إلا اغتابني. أي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته لم يعمل بها».

ـ قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ عَيّرَ أخاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتّى يَعْمَلَهُ﴾(٤٧٩).

ـ قال ابن تيمية: «وقد اتفق الصحابة في مسائلَ تنازعوا فيها على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم، كمسائل في العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة وغير ذلك... وتنازعوا في مسائل اعتقادية، كسماع الميت صوت الحي، وتعذيب الميت ببكاء أهله عليه، ورؤية محمد ﷺ ربه قبل الموت، مع بقاء الجماعة والألفة»(٤٨٠).

---

٤٧٧ عون المعبود ٢٢٢/١٣.

٤٧٨ مقدمات كتاب ذم الغيبة والنميمة لابن أبي الدنيا، تحقيق د. نجم الدين خلف ص ٩.

٤٧٩ صحيح الترمذي، برقم ٢٥٠٧، في صفة باب القيامة، باب رقم ٤٥، وهو حديث حسن.

٤٨٠ الفتاوى ١١٦/١٩، ١١٧.

الاختلاف

١ـ لقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لمختلفين: ﴿كِلاكُما مُحْسِنٌ﴾[٤٨١]، فدل ذلك على أنه قد يختلف اثنان ويكون كلاهما على حق، وخلافهما لا يوجب تفرقاً، ولا يسبب فساداً، وهذا اسمه اختلاف تنوع، يقع غالباً لاختلاف الناس في إدراكهم ووجهات نظرهم وتفاوت آرائهم وفهومهم.

قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٤٨٢]. نعم. مسألة اختلف فيها الأب وابنه: داود وسليمان. وعلى رغم رُجحان الحق لسليمان الابن، جاء المدح في حقهما: «وَكُلًّا (كل واحد منهما) آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا».

٢ ـ قال ابن تيمية: «ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة»[٤٨٣].

٣ـ وقال: «فإن الذي شرع لنا هو الذي وصّى به الرسل؛ وهو الأمر بإقامة الدين والنهي عن التفرق فيه، والدين الذي اتفقوا عليه هو الأصول»[٤٨٤].

قيل للحسن ـ رضي الله عنه ـ أيكون المؤمن حسوداً؟ قال: «لا أبا لكَ، ما أنساك بني يعقوب بأخيهم ما فعلوا».

---

[٤٨١] صحيح البخاري، برقم ٣٤٧٦.
[٤٨٢] سورة الأنبياء: ٧٨، ٧٩.
[٤٨٣] الفتاوى، ١٧٣/٢٣.
[٤٨٤] الفتاوى ١٣/١.

وقال ابن تيمية، رحمه الله: «ما خلا جسد من حسد، ولكن اللئيم يُبديه، والكريم يُخفيه»[٤٨٥].

ـ قال علي كرم الله وجهه: «تبذّل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لِتُذكر وتُعلم، واكتم واصمت تسرّ الأبرار وتغيظ الفجار»[٤٨٦].

ـ وقال إبراهيم بن أدهم: «ما صدق الله من أحب الشهرة»[٤٨٧].

ـ وقال أبو عثمان الحداد، رحمه الله: «ما صد عن الله مثل طلب المحامد وطلب الرفعة»[٤٨٨].

ـ يقول الذهبي: «فربما أعجبته نفسه وأحب الظهور فيعاقب، فكم رجل نطق بالحق، وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داء خفي سار في نفوس المجاهدين فتراهم يلقون العدو ويصطدم الجهاد وفي نفوس المجاهدين مخبآت وكمائن الاختيال وإظهار الشجاعة ليُقال»[٤٨٩].

ـ قيل لأيوب السختياني: ما الشهوة الخفية؟ قال: «حب الرياسة».

ـ قال سهل بن عبد الله التستري، رحمه الله: «لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم،

---

[٤٨٥] الفتاوى ١٢٥/٣.
[٤٨٦] إحياء علوم الدين، للغزالي ٨٠/١٠.
[٤٨٧] المصدر السابق ٨٠/١٠.
[٤٨٨] نزهة العقلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٠٣٤/٢.
[٤٨٩] نزهة الفضلاء ١٢٧٧/٣.

وإن استخفّوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم»[٤٩٠]. قلت: السلطان الذي يخاف الله.

ـ قال النبي ﷺ: ﴿مَن أرادَ أن ينصحَ لذي سلطانٍ في أمرٍ فلا يُبدِهِ عَلانيةً ولَكِن ليأخذْ بيدِهِ فيَخلوَ بهِ فإن قبِلَ منهُ فذاكَ وإلَّا كانَ قد أدَّى الَّذي علَيهِ لَهُ﴾[٤٩١].

ـ قال الحافظ ابن رجب، رحمه الله: «إن ابن عباس، رضي الله عنهما، سُئل عن أمر السلطان بالمعروف، ونهيه عن المنكر، فقال: إن كنت فاعلاً ولا بد ففي ما بينك وبينه»[٤٩٢].

ـ قال الشوكاني، رحمه الله: «ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد... ولكن على المأمور أن يطيع الإمام في طاعة الله، ويعصيه في معصية الله؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[٤٩٣].

ـ قال ابن عثيمين: «إن مخالفة السلطان في ما ليس من ضروريات الدين علناً، وإنكار ذلك عليه في المحافل والمساجد والصحف والمواعظ وغير ذلك، ليس من باب النصيحة في شيء، فلا تغتر بفعل ذلك وإن كان عن حسن نية، فإنه خلاف ما عليه السلف الصالح المقتدى بهم»[٤٩٤].

---

[٤٩٠] أحكام القرآن للقرطبي ٥/٢٦٠ ـ٢٦١.
[٤٩١] ظلال الجنة في تخريج السنة، للألباني، ٢/٥٢١ ـ ٥٢٢، خلاصة حكم المحدث: صحيح.
[٤٩٢] جامع العلوم والحِكم ١/٢٢٥.
[٤٩٣] السيل الجرار، ٤/ ٥٥٦.
[٤٩٤] مقاصد الإسلام ٣٩٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الإنسان: إن الله قد جعلك بينه وبين عباده، ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٤٩٥]، فإن اليوم الذي أنت فيه لو بقي لغيرك ما وصل إليك ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾[٤٩٦] وإني أحذرك يوم ينادي المنادي ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[٤٩٧]، ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٤٩٨].

ـ قال شعيب بن حريب: «رأيت الرشيد في طريق مكة، فقلت في نفسي قد وجب عليك يا شعيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فخوفتني نفسي فقالت: إنه الآن يضرب عنقك. فقلت: لا بد من ذلك، فناديته فقلت: يا هارون، فقال: خذوه. فأدخلت عليه، فقال: ممن الرجل؟ قلت: من الأنبار، فقال ما حملك أن دعوتني باسمي؟ فقلت: أنا ادعو الله باسمه: يا الله، أفلا أدعوك باسمك؟ والله سبحانه قد دعا أنبياءه بأسمائهم فقال: يا آدم، يا نوح، يا هود، يا صالح، يا إبراهيم، يا موسى، يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه، وكنّى أبغض خلقه فقال: تبت يدا أبي لهب وتب، فقال هارون الرشيد: أخرجوه أخرجوه».

---

[٤٩٥] سورة ص: ٢٦.
[٤٩٦] سورة النمل: ٥٢.
[٤٩٧] سورة الصافات: ٢٢.
[٤٩٨] سورة هود: ١٨.

ـ قال ابن عثيمين: «اللهَ الله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان، وأن يتخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس وإلى تغيير القلوب عن ولاة الأمر، فهذا عين المفسدة وأحد الأسباب التي تحصل بها الفتنة بين الناس، كما أن ملء القلوب على ولاة الأمر يُحدث الشر والفتنة والفوضى، وكذا ملء القلوب على العلماء يحدث التقليل من شأنهم»[٤٩٩].

ـ لا بد من البحث عن مسببات البلاء؛ إنه الآثام والخطايا. كان عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، يقول: «كان الحجاج بلاء من الله وافق خطيئة».

فليس لمن عمل بالمعصية أن ينكر وقوع العقوبة، بأن يعاقبه الله بجور والٍ في بلاده، أو مدير في مدرسته... وما أرى ما نحن فيه إلا من شؤم الذنوب.

ـ يقول النبي ﷺ: ﴿إذا كان عليكم أمراء يأمرونكم بالصلاة والزكاة والجهاد فقد حُرِّم عليكم سبُّهم﴾[٥٠٠].

---

[٤٩٩] حقوق الراعي والرعية، ص٧.
[٥٠٠] أخرجه الطبراني، في الأوسط، ص ٣٠٦.

ما قيل في العلماء

شهد الله تعالى لهم بخشيته عز وجل، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٥٠١].

وشهد لهم النبي ﷺ بالفضل، فقال: فضلُ العالِمِ علَى العابدِ كفَضلي علَى أدناكُم﴾[٥٠٢].

وقال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

ـ «العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وآثارهم في القلوب موجودة»[٥٠٣].

ـ وقال كرم الله وجهه: «محبة العلماء دِين يدان به»[٥٠٤].

ـ وقال عمر بن عبد العزيز، رحمه الله: كان يقال: «إن استطعت فكن عالماً، فإن لم تستطع فكم متعلماً، وإن لم تستطع فأحبَّهم، وإن لم تستطع فلا تَبغُضهم»[٥٠٥].

ـ قال الآجري: «هم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان. بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ[٥٠٦].

---

٥٠١ سورة فاطر: ٢٨.
٥٠٢ إصلاح المساجد، للألباني، برقم ١٢٦، خلاصة حكم المحدث: حسن.
٥٠٣ جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البَر، ٦٨/١.
٥٠٤ مفتاح السعادة، لابن القيّم، ٦٦/١.
٥٠٥ جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ٦٨/١.
٥٠٦ أخلاق العلماء، المقدمة، ص ١٠ ـ ١٧.

من أقوال الكِندي

- أحسن الكلام ما كان صفو العقل من ناحية المعنى، وعفو الطبع من جهة التأليف، فيجتمع فيه صواب المراد وحلاوة الإيراد.

- النظر في كتب الحكمة أعياد النفس الناطقة.

- يا بني انسخ كل ما تجده مكتوباً، إذا اتسعت لك الجدة، وامتد بك الزمان، فإن مكان ما تكتبه أسودَ من دفترك خيرٌ منه أبيض.

- من صان لسانه كثرَ أعوانه، وجعل جميع الناس إخوانه.

- العبد حر ما قنِع، والحُر عبدٌ ما طمِع.

- مع كل مصيبة ألم، ومع كل حسرة ندم.

- من لم يكن حكيماً لم يزل سقيماً.

- من جهِل ذَل.

- العلم غابر والجهل دائر.

- مَن أكثر المناكح لم يسلم من الفضائح.

- من أطاع الغضب عصته السلامة، ومن عصى الحلم أطاع الذل».

- ما أقبح البخل بكل ذي عقل.

- البخيل أبداً ذليل.

- البخيل غير أصيل.

- من اشتد بخله قل أكلُه.

- خيانة الناس أقبح إفلاساً.

- مَن لزم الوفاء لزمه الرضا.

- من أطاع الوفاء لم يعصه الإخاء.

- ينبغي لنا ألا نستحي من استحسان الحق، واقتناء الحق من أين أتى وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة فإنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق.

- قيل للكِندي: فلانٌ غني. فقال: «أعلم أنه له مال، ولكني لا أعلمه غنياً أم لا؛ لأني لا أدري كيف يعمل في ماله»!

المحتوى

المبحث	الصفحة
الإهـــــــداء	٥
مـقـدمة	٦
الراعي والرعية	٨
قصص الأطفال	٩
من أحاديث المصطفى ﷺ	١٠
قضاء حوائج الناس	١٠
إصلاح ذات البين	١٠
فضل يوم الجمعة	١١
فـائـدة	١٦
معاق أو مَعُوق أو مُعَوَّق	١٧
اللغة العربية والشريعة الإسلامية	١٨
تغير الفتوى بتغير الأزمنة	٢٢
حسن الظن وعدم تكفير المسلم	٢٦
صحة القول بالاجتهاد والقياس في ما لا نص فيه	٣١
بواعث التفريط في الدين	٣٤
الافتراء على العلماء الأموات	٣٨
وربك يخلق ما يشاء ويختار	٤٢
عبرة من الماضي	٤٦

المبحث	الصفحة
حضارتان	٤٩
محبة الرسول ﷺ ومكانته في القلوب	٥٠
وذكرهم بأيام الله	٥٤
زوجات النبي ﷺ	٦١
التشريع الإسلامي	٦٤
إننا معشرَ المسلمين لا نحب الحروب	٦٦
قيام الدين الإسلامي	٦٨
إسلام واضح	٦٩
تقوى الله	٧١
أين الإيمان وكيف العمل؟	٧٤
غارقون ويريدون نصراً!	٧٧
حال المسلمين وعلاجهم	٨٠
المسلمون اليوم	٨٥
من صفات أهل السنة	٩٠
البيت: ما هي وظيفته؟	٩٤
المال والحكمة	٩٥
الإحسان والمحسنون	٩٧
التعامل مع غير المسلمين	١٠٠
سيدنا محمد رسول الله ﷺ	١٠٥
عموم بعثته ﷺ	١٠٦
الولي والمولى واحد	١١١
فرقة الأكباد	١١٤
لا يضل ربي ولا ينسى	١١٦
الغنى والفقر	١٣١
لم ولن	١٣٤
حق لهذه الكلمات أن تكتب بماء العينين	١٣٤
الطفل	١٣٦

المبحث	الصفحة
عمر بن عبد العزيز والمال	١٣٨
الإيمان الواضح والعمل الصالح	١٤٠
كيف ينظر الإسلام إلى غير المسلمين؟	١٤٢
لا يقوم بدين الله إلا من أحاطه من جميع جوانبه	١٥٤
إذا أعطيتم فأغنوا	١٥٧
لأن يطعن أحدكم بمخيط من حديد خير من أن يمس امرأة لا تحل له	١٦٠
كثرة علم العالم لا تستلزم اطلاعه على جميع النصوص	١٦٢
الفتنة بالدنيا	١٦٣
التراث وتلاميذ الجامعة الأمريكية	١٦٥
حكاية تحرير المرأة	١٦٧
دلالة الكلمة	١٧٨
الفتنة	١٧٩
الفعل «كفى» في القرآن الكريم واللغة العربية	١٨٠
عمل الكافر في الدنيا	١٨١
التواضع	١٨٢
من قواعد التعليم	١٨٤
العبرة بحسن العمل وليس بكثرته	١٨٦
معاملة شيطان الإنس وشيطان الجن	١٨٨
من آداب الضيافة	١٨٩
الحق حق	١٩٠
فبأي آلاء ربكما تكذّبان	١٩١
مختارات من قراءتي	١٩٢
الاختلاف	١٩٥
ما قيل في العلماء	٢٠٠
من أقوال الكندي	٢٠١
المحتوى	٢٠٣

تم بحمد الله

المؤلف في سطور

الدكتور يحيى مصري، من مواليد مدينة حلب، أستاذ النحو والصرف في جامعة حلب، دكتوراه في النحو والصرف وفقه اللغة، والفقه على المذاهب الأربعة، وتفاسير القرآن الكريم.

مقيم في أمريكا، له عدد من الكتب المنشورة والمخطوطات، أبرزها:

١- تحقيق شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، صادر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالسعودية.

٢- لغتنا العربية، فرائد وفوائد، صادر عن «منشورات كتاب» بواشنطن.

٣- الشاهد النحوي ووجه الاستشهاد، صادر عن دار عكرمة بدمشق.

٤- هذه كناشتي، اعتنى بنشرها د. أحمد محمد ويس، صادر عن «شرفات للنشر والدراسات».

٥- الوجيز في فقه الخلفاء الراشدين وابن عباس وابن مسعود. كتاب إلكتروني. صادر عن blx للتصميم الطباعي والورقي.

٦- مشكل إعراب القرآن الكريم. (قيد النشر).

النحو القرآني. (قيد النشر).

٧- اللآلي من كلام الغزالي. كتاب إلكتروني. صادر عن blx للتصميم...

٨- لآلئ التفسير. (قيد النشر).

٩- المسلمون وغير المسلمين. (قيد النشر).

١٠- مقالات وخاطرات. الجزء الأول. كتاب إلكتروني. صادر عن blx...

١١- مقالات وخاطرات، الجزء الثاني. كتاب إلكتروني. صادر عن blx...

١٢- موضوعات قيمة. (قيد النشر).

للتواصل:

https://www.facebook.com/profile.php?id=100002046860416

مجموعة مقالات تعد خلاصة فكر وتجربة المؤلف الاجتماعية والعلمية والإرشادية، حاول فيها إظهار الصورة الجوهرية للإسلام من خلال توضيح مقاصد الشريعة، بعيداً عن الصورة النمطية التي روج لها المتشددون من جهة والإعلام المضاد من جهة أخرى، مبشراً لا منفّراً، من خلال النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة واجتهادات الرعيل الأول من الصحابة الكرام، التي تقدم الرحمة ورعاية المصلحة المشتركة بين الفرد والمجتمع بتوازن لا يضام فيه الفرد ولا ينحّى المجتمع، على اختلاف التوجهات والديانات.